١٠٤١
دار م. النحاس

كبير

1041
HARLEQUIN

ميراث خطر

ستيفاني هوارد

www.elromancia.com
مـــــرمـــــوريـــــة

ميراث خطر

ستيفاني هوارد

«لم تكن النية، الترحيب بك.»

منذ اللحظة الأولى لوصول ليانا، أوضح فيليب مانديز تماماً لها، أنها غير مرغوب فيها. ولم يضع فيليب وقتاً، في افهامها، انه يعتبرها مثل الباحثين عن الذهب وهي التي راسلت عمتها مدعية الاهتمام بها والعطف عليها، ولكنها لم تزعج نفسها وتاتي لرؤيتها على فراش الموت. ولكن ليانا في ذلك الحين لم تعلم بما حدث لعمتها. أما بالنسبة لاتهامه اياها، بأنها باحثة عن الذهب، فبدا ان فيليب أجدر بهذه التهمة منها. ستدعه يفكر بما يريد، لأنها تنوي المطالبة بميراثها، ولن يحول دون ذلك، تعجرف فيليب مانديز أو فظاظته.

ميراث خطر

ستيفاني هوارد

«لم تكن النية، الترحيب بك.»

منذ اللحظة الأولى لوصول ليانا، أوضح فيليب مانديز تماماً لها، أنها غير مرغوب فيها. ولم يضيع فيليب وقتاً، في افهامها، انه يعتبرها مثل الباحثين عن الذهب وهي التي راسلت عمتها مدعية الاهتمام بها والعطف عليها، ولكنها لم تزعج نفسها وتأتي لرؤيتها على فراش الموت. ولكن ليانا في ذلك الحين لم تعلم بما حدث لعمتها. أما بالنسبة لاتهامه اياها، بأنها باحثة عن الذهب، فبدا ان فيليب أجدر بهذه التهمة منها. ستدعه يفكر بما يريد، لأنها تنوي المطالبة بميراثها، ولن يحول دون ذلك، تعجرف فيليب مانديز أو فظاظته.

«لقد وصلت، إذاً، وكما توقعت لم تضيعي أي وقت.»

عند سماعها صوت رجل آتياً من أعلى الدرج، بنبرات قاسية وعدائية، استدارت ليانا على عقبيها، نظرت إلى وجه الرجل وقالت بوجل: «من أنت؟»

ضحك الرجل بعصبية وقال، «أنا الذي أرسلت لك البرقية.»

ستيفاني هوارد

ولدت ستيفاني هوارد وترعرعت في مدينة دندي في اسكتلندا، ودرست في كلية لندن للعلوم الاقتصادية. عملت صحافية لمدة عشر سنوات في عدد من المجلات النسائية منها «مجلة المرأة،» وأصبحت فيما بعد رئيسة تحرير مجلة «هاني،» المتوقفة حالياً عن الصدور. أمضت عدداً من السنوات تعمل في الخارج، في إيطاليا، ماليزيا، الفلبين والشرق الأوسط. تقيم حالياً في مدينة كنت.

www.elromancia.com

الفصل الأول

رمت ليانا حقيبة ملابسها على الرصيف المغطى بالغبار، وقفزت من الباص ثم وقفت تطرف بعينيها في أشعة الشمس الساطعة وتنظر حولها متعجبة!

سألت: «هل أنت متأكد أن هذه الدوتادو؟» كل ما أعرفه عن هذا المكان أنه بيت يضم مزرعة لتربية المواشي، ومتنزهاً يقوم على هكتارات من الأراضي الزراعية في السهول الأرجنتينية.

لكن سائق الباص أدار محركه، فانطلق الباص مسرعاً مخلفاً وراءه غيمة من الغبار الأحمر. خافت ليانا أن لا تكون في المكان المقصود، فقد علمت أنه لن يكون هناك باص آخر يغادر هذا المكان قبل الغد.

التفتت حولها باحثة عن... انتبهت إلى لافتة معلقة على سياج مزرعة كتب عليها «الدوتادو.» قرأتها باطمئنان. لقد وصلت إلى المكان المناسب، أخيراً.

التقطت حقيبة ملابسها، ورفعت يدها لتظلل بهما عينيها، وانطلقت نحو البوابة الكبيرة، حيث دخلت في ممر قادها إلى باحة المنزل.

مفاجأة حلّت محلّ الحيرة التي كانت تشغلها. فمنذ وصولها هذا الصباح إلى «بيونس آيرس» على أثر استلامها برقية مجهولة المصدر، وهي تتلقى المفاجآت وتتعجب! هل هناك من مفاجآت أخرى الآن؟ كان البيت

الريفي محاطاً بشرفة خشبية تصل إليها عبر درجات من الخشب. صعدت ليانا الدرج وهي تجر حقيبتها وراءها. كانت تشعر بحقيبتها وكأنها تزن طناً من جراء الحرّ الشديد. توقفت برهة في ظل الشرفة لترفع عن وجهها خصلات شعرها الرطبة.

كان باب المدخل الكبير مواجهاً لها. ألقت حقيبتها على الأرض بحركة بطيئة، أعادت تسوية ملابسها، ثم توجهت نحو الباب. ورفعت قبضتها لتطرقه.

ولكن، قبل أن تلامس أصابعها الباب سمعت صوتاً.

«ها قد وصلت، كما توقعت، لم تضيعي أي وقت.»

إلتفتت ليانا إلى الوراء وجلة لسماعها صوت رجل، كانت نبراته قاسية تنمّ عن روح عدائية.

نظرت إليه وسألته: «من أنت؟»

ابتسم الرجل وأجاب: «أنا من أرسل إليك البرقية.»

خمنت ليانا أنه في العقد الثالث من عمره، كان يرتدي سروالاً من الجينز، بالياً باهت اللون، وقميصاً بيضاء مرفوعة الأكمام تكشف عن عضلات قوية وكتفين لوحتهما أشعة الشمس. كان يقف في منتصف السلم، في وضع مسترخ وغريب في آن واحد. كانت عيناه تنظران إلى عينيها، عينان سوداوان داكنتان تعبران عن إلفة ودفء، مثل عيني ثعبان.

قال بصوت أجش: «لا بد أنك حضرت في أوّل طائرة قادمة من لندن.»

«الذي فَهِمْتُه أن البرقية كانت تطلب مني القدوم إلى هذا المكان بأسرع ما يمكن.»

كان صوتها عدائياً. فمنذ اللحظة التي استلمت فيها البرقية في شقتها في لندن قبل يومين، عرفت أن مرسلها شخص قاسٍ لا يُحتمل. أما الآن فالحقيقة حية وتقف أمامها.

كانت عيناه مسمرتين تتفحصانها، لا ترفان، كأنهما قطعتان من فحم أسود قاسٍ وحاد، تلمعان في وجه يجمع بين القسوة والحساسية. شعرت ليانا بأن هذا الرجل لا يقبل بانصاف الحلول في كل أعماله وتصرفاته.

إنه يتفحصها، يدقق بها، يحدق في وجهها، بعينيها الواسعتين العسليتين، بعظام خديها العالية، بفمها الناعم المرسوم، بشعرها البني المذهب الذي ينساب على كتفيها.

إنتقل بنظراته، ليتأمل جسمها الرقيق والأنيق. كانت ترتدي سروالاً أبيض وبلوزة زهرية بسيطة، كان السفر والحرّ قد تركا بصماتهما على هندامها، فبدت غير أنيقة. سألها بسخرية: «هل أنت دائماً هكذا، تلبين النداء والإستدعاء بسرعة؟ وهل تقفزين من مكانك وتهرعين بنشاط عند أي طلب؟ بمجرد أن يشار إليك بالاصبع تكونين ماثلة حاضرة؟»

مرّت لحظة لم تجب خلالها ليانا. كانت تشعر بأنها مرهقة جسدياً بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة والمُتعبة. كانت تحس بأنها غريبة وغير قادرة على التكيّف في هذا البلد الغريب، وربما، هذا الرجل يعتبرها هدفاً سهلاً لطباعه القاسية.

لكنه مخطىء، فهي لم تكن أبداً هدفاً سهلاً لأحد ولن تكون. لذا، استبدلت شعورها بالتعب بنظرة غضب.

أخذت تنظر إلى وجهه بإمعان. وسألته: «هل أنت قليل التهذيب، هكذا، دائماً؟ أهذه طبيعتك وطريقتك المثلى لإستقبال ضيوفك؟»

«أنت، لست ضيفتي.» جاءت كلماته كطلقات نارية ثم ابتسم إبتسامة باردة، ومعادية. «لو كنت ضيفة! لما كنت هنا.»

«وماذا تعني بقولك هذا،» سألته وهي عابسة، وجادة، حدقت بعينيه وقالت: «أنظر، السبب الوحيد لقدومي إلى هذا المكان، هو أنني تلقيت برقيتك وفيها تخبرني بوفاة عمتي الكبيرة غلوريا.» شعرت بحزن قوي عميق وهي تنطق بهذه الكلمات. لم تكن قد قابلت العمة غلوريا من قبل، لكنها أحبتها من خلال رسائلها.

أخذت نفساً عميقاً.

«طلبت مني أن أحضر بسرعة إلى الدوتادو. لهذا أتيت إلى هنا.» ضاقت عيناها العسليتان وأضافت: «من أجل عمتي غلوريا، وكي أعرف لماذا تحتاجونني؟»

«نحتاجك؟» رفع حاجبيه وشد قامته، ثم اتجه نحو الشرفة فبدا كالبرج العالي المشرف عليها. «إفهمي كلامي جيداً، يا سنيوريتا، لا أحد يحتاجك أو يريد منك شيئاً هنا. كوني واثقة من هذا الأمر.»

كانت نظراته كحد السيف، سمّرتها في مكانها، وجعلتها غير قادرة على الردّ، ثم تابع يقول: «لقد أخبرتك في برقيتي، أن حضورك لوقت قصير، هو المطلوب، وأنا آسف لهذه المشقة، وأريد حسم هذا الأمر بسرعة.»

قال هذا ورمقها بنظراته المزدرية من جديد وأشار إليها: «اتبعيني.»

اتجه نحو الرواق المظلم وحذاؤه الثقيل يدك الأرض دكاً. مرّ من أمامها دون أن يعيرها أي اهتمام، وقفت ليانا للحظة. كانت غاضبة. عليها أن تتبعه إلى الداخل، لكنه لم يكلف نفسه عناء مساعدتها في حمل حقيبة ملابسها الثقيلة. كان يزداد سوءاً في كل لحظة تمر... حسناً... إنها قادرة... تستطيع التصرف دون عون من أحد... لن تدع تصرفاته تكدرها. كما يقول لها كليف، إنها إنسانة صعبة المراس، عليها أن لا تترك للفرص مجالاً تسمح لإنسان وحش كهذا أن يزعجها ويعكر صفاءها.

أمسكت، بعناء، حقيبتها، وخطت بها نحو العتبة بخطى وئيدة ثقيلة، ومنها إلى الداخل. كان الجو مبرداً بالمكيف الهوائي...! وضعت الحقيبة إلى جانب خوان أسباني قديم، رائع بنقوشه وباتقان زخرفته. أغلقت الباب خلفها، ونظرت حولها نظرة خاطفة. إلى أين ذهب هذا المخلوق الغريب وتركها وحيدة؟

دون أي تفسير أو...! كانت ليانا على وشك أن تصرخ: «أين أنت، أيها الشرير؟» عندما نادى صوت في الغرفة اليمنى. بحماسة ولهفة اتجهت نحو الصوت، فتحت باب الغرفة، وتسمّرت مكانها.

أين هي؟ يا لروعة المكان! يا لجماله! لم تكن تتوقع رؤية ما ترى. غرفة رائعة فخمة، نورٌ قوي ينساب من النوافذ الفرنسية الرائعة، المطلة على الشرفة. كل ما في هذه الغرفة يوحي بالفخامة والرفاهية والراحة. الأريكة ناعمة ومغطاة بقماش مزركش، ألوانه زاهية رائعة. لوحات زيتية ضخمة تزين جدران الغرفة.

دهشتها تزداد... من مزرعة بسيطة إلى قصر كبير مؤلف من غرف جميلة، رائعة مبرّدة، أثاث فخم رائع... مفاجآت... ماذا بعد...

نظرت إلى الرجل الطويل وهو يمرّ عبر الغرفة حاملاً بيده علبة شراب مثلجة. ما زالت واقفة عند الباب، وقد نفد صبرها. «ألا ترى أن الوقت قد حان لكي نتعارف؟ بالتأكيد هذا أقل ما نفعله!»

«أنا أعرف من أنت.» قال نلك وهو يجلس على الأريكة. ورمقها بنظراته السريعة، إنتزع غطاء علبة الشراب المعدني، ورماه في صحن للسجائر موضوع على طاولة بجانبه. «أنت ليانا بولكن،» أضاف: «أنت ابنة أخت تيا غلوريا الحبيبة! وقد جئت من لندن.»

كانت السخرية والشدة واضحتين في كلامه. قال بقرف، وباشمئزاز: «يا غلوريا الحبيبة،» فهي لم تكن ولن تكون حبيبة، لأنه لم يكن حبيبها الوحيد فقد شاركته في حبها، لقد انتزعت ليانا نصف المحبة، ولكن ليانا قررت أن لا تدقق في التفاصيل.

لم تعر إهتمامها له أو على الأقل نظرت إليه وقد نفد صبرها. عقدت يديها على صدرها، كانت قد انتبهت لكلمة «تيا» إنها كلمة إسبانية تعني العمة مع أنها لم تكن ملمة بالإسبانية. «من... أنت؟» طرحت عليه السؤال بصوت قاسٍ وحاد.

فأجابها ببرود: «لقد أخبرتك. أنا من أرسل إليك البرقية.» أخذ جرعة من الشراب ملأ بها فمه. ودون أن ينظر إليها أشار بيده نحو الثلاجة في آخر الغرفة. «ثلاجة

المشروب هناك... لا تنتظري مني تشريفات، تستطيعين أن تقدمي لنفسك شراباً تختارينه بنفسك!»

أضحكتها عبارة «لا تنتظري تشريفات.»

وأجابته ساخرة: «كم أنت مضياف! لقد أثارتني لياقتك المهذبة!»

فقال بتهكم: «أرجوك أن لا تتأثري هكذا. لا تنفعلي، لمَ أكرهك؟ ألم أقل لك سابقاً أنك لست ضيفتي.»

«هذا صحيح... أنت قلت هذا.» نظرت إليه عابسة. ماذا فعلت لتستحق كل هذا العداء؟ «لكنك حتى الآن لم تقل لي من أنت؟»

أخذ جرعة من الشراب وقال: «أنا مزارع محلي.»

«هذا عملك، وليس من أنت. الذي أريد معرفته هو من أنت؟ ولمَ أنت هنا؟»

«هل تريدين هذا حقاً؟ هل أنت متشوقة لمعرفة من أنا؟» إلتفت إليها مجدداً. «ما أستطيع قوله انك فتاة غريبة جاهلة تريد معرفة كل شيء، كل شيء...»

جمدتها نظراته التي ملؤها البغض والعداوة، مما جعلها تهرب منه بعينيها، وهذا ما كان يريد. مضايقتها أو حتى إزعاجها. يريد السيطرة عليها... رفعت رأسها ومشت نحوه وواجهته.

وقالت بتحدٍ ودقة: «أنظر. لقد كان يومي طويلاً وشاقاً، وصلت إلى بيونس آيرس في ساعات الصباح الأولى، بعد ست عشرة ساعة طيران من لندن.» ثم القت نظرة على ساعتها. «الساعة الآن حوالي الرابعة، وقد قضيت خمس ساعات في الباص من بيونس آيرس إلى ترانك لوكان، ثم

انتظرت الباص ساعتين ليقلني إلى هنا. واستغرقت الرحلة ساعتين أيضاً، أنا متعبة جداً، وأشعر بالحرّ والجوع والإرهاق، كل ما احتاجه الآن هو بعض الإيضاحات.»

«حقا؟» أخذ جرعة أخرى من الشراب ونظر إليها نظرة خالية من الشفقة. تأمل علبة الشراب بيده وقال دون أن ينظر نحوها: «أجل إنيّ أعترف... هذا متعب وشاق،» ثم أضاف بصوت متهكم: «وأنت تعتقدين بأن مهمتك هنا على جانب من الأهمية؟»

ما الذي يرمي إليه؟ فكرت ليانا. لِمَ هذا التهكم والتأنيب! ولكن مهما يكن، فهي قادرة على إيقافه عند حده...

«لست هنا لغاية في نفسي. أو على الأقل، لا أعرف لماذا أرسلتم في طلبي.» قالت هذا وهي تخطو نحو الغرفة حتى أصبحت تقف أمامه وجهاً لوجه، لا يفصل بينهما سوى طاولة صغيرة. كانت نبراتها حادة والغضب ظاهر وواضح في كلماتها وتصرفاتها. «لقد جئت إلى هنا فقط لأنني استلمت برقية تقول إن عمتي غلوريا توفيت نهار الجمعة.» قالت هذه الجملة وكأنها تقرأ البرقية الآن ثم أضافت: حضورك مطلوب في الحال، ثم ارتفع صوتها، «لقد قلت لي أنك أنت من أرسل البرقية وهذا يعني أنك تعرف الأسباب... لماذا إذن أرسلت البرقية؟ ولِمَ تظهر أمامي بهذه الصورة الغامضة...؟»

صمت لحظة قبل أن يجيبها، ثم هزّ رأسه بهدوء وقال: «أداء جيد ومقنع،» ورمقها بنظرة تحدّ، «كثرة أسئلتك تثبت وكأنك غير جديدة في مهنتك. إذ أن موهبتك يجب أن تقودك

www.elromancia.com

بسهولة إلى خشبة المسرح. فالحقيقة هي أنك غير مؤهلة لأن تكوني صحافية...؟»

«كيف عرفت أنني صحافية؟» من هو هذا الرجل وكيف عرف الكثير عنها؟! أسئلة واستفهام أثار في نفسها شعوراً غريباً... من أين جمع عنها هذه المعلومات؟ ولماذا؟

كانت على وشك أن تطرح مزيداً من التساؤلات، ولكنه وقف وألقى علبة الشراب من يده. «بما أنك متشوقة لمعرفة هويتي، سأشرفك بتقديم نفسي إليك.»

ظنت ليانا أنه وقف ليصافحها. ولكنها استدركت أنه بعيد كل البعد عن التهذيب واللياقة. مرّ من أمامها واتجه نحو ثلاجة المشروبات الموجودة في زاوية الغرفة، وأخذ علبة ثانية من الشراب.

ثم عاد مرة أخرى إلى حيث كان، وجلس مجدداً على الأريكة، وتابع حديثه: «أنا، يا سنيوريتا، فيليب ماندينز.»

«أنت فيليب؟» دهشت لما سمعته.

رفع حاجبه الأسود: «تبدين دهشة بالتأكيد. هذا الإسم أثار فيك الدهشة والتعجب، ما السبب؟»

الدهشة كانت الكلمة الصحيحة... قطبت حاجبيها وهي تنظر إليه مجدداً. «أنا أعترف بأنني كنت أتوقع أن يكون فيليب شخصية مختلفة.»

«مختلفة! كيف؟» ابتسم لبراءتها. «كيف توقعت أن يكون فيليب ماندينز؟»

في البداية، توقعت أن يكون رجلاً لطيفاً، توقعت أن يكون مهذباً ومؤدباً ومحترماً. توقعت أن يكون رجلاً تستطيع أن تحبه وتحترمه. هذا الإنطباع كان نتيجة

إشارات العمة غلوريا في رسائلها. إذ كانت تذكر من وقت لآخر ابن أخيها الحبيب، كانت ليانا تعرف فيليب كما تعرف عمتها غلوريا، في الرسائل فقط... ولكنها منعت نفسها عن سرد أفكارها... لأنه بالطبع لن يهتم لأية فكرة تكونها عنه...

قالت له: «الذي يثير دهشتي أكثر هو أنك إنسان لا تعرف شيئاً عن حسن الضيافة، ولكنك، على ما يبدو وبرغم كل هذا، ابن خالي.» ساد صمت ثم نظر فيليب إليها. وأخيراً قال: «نعم، بالتأكيد هكذا يبدو.» كان يبدو واضحاً أن هذه العلاقة أو رابط الدمّ التي تربطهما، لا تروق له.

كذلك لم ترق لليانا، ولكنه أمر محتم مفروض على الإثنين. قالت ليانا ببساطة: «أمي تكون أخت والدك. شئت أم أبيت، وعليه فإننا من المحتم والأكيد أولاد عم... يا إلهي!»

ملأ فيليب ماندينز فمه بالشراب مجدداً واسترخى أكثر في جلسته على الأريكة. رمقها بنظرة من تحت أهدابه وقال لها: «أنت مخطئة، من وجهة نظر واحدة على الأقل.»

«أتعني أنك لست ابن خالي؟»

«ليس هذا ما أعنيه.»

للأسف، فكرت ليانا، إن مثل هذه الأخبار، يجب أن تسره.

قطبت حاجبيها وهي تنظر إليه، «حسناً، ما هو الأمر الذي أخطأت به؟»

«لقد ذكرته لك من قبل» لمعت عيناه الداكنتان. «ليس مطلوباً مني أن أقوم بضيافتك، لذلك، من غير المجدي أن تستمري في توبيخي لأنني لم أحسن ضيافتك؟»

«لم أكن لأوبخك! كنت فقط ألفت نظرك...»

«ماذا؟ هل تعنين أن أسلوبي غير لائق؟»

«ممكن أن نقول هذا.»

فابتسم ساخراً: «لقد قدمت لك الشراب. ماذا تريدين أكثر؟»

ابتسمت ليانا هازئة وقالت: «أنت أخبرتني عن مكان الشراب، بالنسبة لي هذا مختلف عن تقديم واحد لي!»

«وماذا عليّ أن أفعل؟ أجلبه وأصبه لك في كأس!»

«هذا بالضبط ما كنت سأفعله لو كنت أنت ضيفي وفي بيتي!»

«ولكنك لست ضيفتي. وهذا المنزل ليس منزلي.

«هذا بيت عمتنا! وأنت تعرفها أكثر مني وتعرف المنزل جيداً مما يترتب عليك لو كنت أكثر...»

كانت ليانا على وشك أن تقول «مضيافا» مرة أخرى، ولكنها تداركت نفسها. ما هذا الذي تفعله، تناقش إنساناً تافهاً ملعوناً. هل قطعت نصف المسافة حول العالم لتضيّع وقتها في مناقشة حمقاء كهذه؟

تحركت بعصبية، حان الوقت لتسيطر على نفسها، لقد تركته يتدخل في أمورها لمدة طويلة.

عقدت يديها على صدرها، وتقدمت خطوة أخرى باتجاهه «لماذا أبرقت إليّ؟ لماذا حضوري مطلوب؟ أظن أن هناك سبباً وجيهاً ليكون حضوري مطلوباً وبسرعة بعد موت العمة؟ ما سبب ذلك؟»

«آه، طبعاً، هناك سبب وجيه.» فكر للحظة سامحاً لعينيه الوقحتين أن تتأملاها ملياً وتتفحصاها حتى التفاصيل

الدقيقة، شعرت بنظراته الوقحة تربكها، كانت تلتهمها وتتمنى اختراق ملابسها. وانتابها الخوف، كيف الهروب؟ ما العمل؟

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وهو ينظر في عينيها. «لقد تعجبت كيف قطعت هذه الرحلة وحدك؟ خلت أن خطيبك كليف سيصطحبك!»

أحست ليانا بالدفء عندما ذكر اسم كليف، الحبيب كليف. شعرت بالأمان... لو كان معها لتدبّر أمر هذا المتوحش غير المهذب.

ولكنها لن تدع فيليب يلهيها. نكرته مجدداً: «لم ترد على أسئلتي.»

قال وكأنه لم يسمع ما سألته: «هو مستشار ضرائب أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟ ألم يستطع أن يأخذ إجازة؟»

أخذت ليانا نفساً عميقاً، كانت تود ضربه. كيف يجرؤ هذا المخلوق الوقح القاسي المتعجرف على أن يتدخل في أمورها مع خطيبها. ذلك الرجل الذي تحبه.

حدقت ليانا بفيليب بينما تابع هو مراقبتها والتحديق بها. إنه يعرف كل شيء. كل شيء. وها هو ذا يتلذذ بإغضابها وبإثارة أعصابها...

قالت له بصوت متزن: «هل تجيب عن أسئلتي؟ هل تخبرني لماذا طلبت مني الحضور إلى الدوتادو؟»

لم تطرف عيناه السوداوان وها هو ذا يرتشف جرعة جديدة من الشراب بينما عيناه الوقحتان ما زالتا مسمرتين في وجهها.

«كما قلت سابقاً، إنها مسافة طويلة لفتاة مثلك أن تقطعها وحدها، لقد كنت شجاعة حقاً.»

ابتعدت عنه ليانا بعد أن نفد صبرها. كانت تتمنى الإمساك بعنقه لتخنقه، أخذت نفساً عميقاً لتريح أعصابها، ثم مشت نحو الثلاجة، الشراب البارد في هذه اللحظة فكرة جيدة.

أخذت علبة شراب، ثم تناولت كوباً كبيراً من رف بقربها. رمقته من وراء ظهرها تسأله وهي تصب الشراب في الكأس.

«هناك الكثير من الكؤوس، هل تريد واحدة؟»

«لو كنت أريد واحدة لكنت أخذتها بنفسي.» كانت السخرية والتهكم أسلوبه المميز والمسيطر على لهجته.

ابتسمت ليانا وهي ما تزال مديرة ظهرها نحوه. ارتشفت رشفة طويلة من الشراب فانعشتها.

لقد سبق وشربت الشراب نفسه مرات عديدة من العلبة فلم تكن، إذن، هذه الطريقة هي التي تزعجها، بل الرجل. كانت تريد إغضابه فقط عندما عرضت عليه الكأس.

ثم استدارت لتواجهه. «شيء ما يجري هنا. شيء مبهم بالنسبة لي، كل هذه التلميحات منك... واعتقادك بأن هناك دافعاً قوياً وراء قدومي إلى هذا المكان.» نظرت إليه وقالت: «أخيراً. هل تتكرم وتوضح لي...؟»

ابتسم فيليب، ولكنها لم تكن ابتسامة سرور. «إنك حقاً ممثلة بارعة. لماذا اخترت الصحافة بدلاً من خشبة المسرح؟» شعرت ليانا بأصابعها مشدودة حول الكأس. أخذت جرعة من الشراب لتطفىء ناراً بداخلها، ثم مشت بهدوء نحو كرسيّ مقابل له متجنبة، بلباقة، نظراته الماكرة.

«أرى أن الأمر سيتطلب وقتاً طويلاً.» كانت نبراتها

مشحونة بالسخرية. نظرت إليه وقالت: «أعتقد بأنك تسمح لي بأن أجلس.»

«أنا لا أحب أن أسمح لك.» سكت لبرهة ونظر إليها. «ولكن، في الحقيقة، ليس في نيتي الإعتراض.»

أيحاول التواضع؟ لم تستطع ليانا أن تخفي ابتسامة ساخرة، فيليب ماندين هو نموذج من الرجال الذين يعتبرون كل شيء ملكهم لتنفيذ مآربهم.

كانت مأخوذة بهذه الفكرة حتى كادت تفوتها ملاحظة قالها: «على أية حال فالكرسي ملكك.»

حلت لحظة صمت، عبست ليانا بعدها وقالت: «ماذا تعني بكلامك: الكرسي ملكي؟» ثم ابتسمت عندما تخيلت تفسيراً لسؤالها، «هل تعني أن العمة غلوريا تركت لي هذا الكرسي كإرث في وصيتها؟»

أومأ فيليب برأسه: «نعم هذا ما فعلته في الحقيقة!»

ابتسم ابتسامة فاترة وقال: «هل هذا يسرك؟»

«كثيراً... إنها لكرسي رائعة!» دارت ليانا حول الكرسي.. تتأملها بسرور ودهشة، «يا لجمالها. قماش رائع، وصنع أنيق. جميل من العمة غلوريا أن تترك ذكرى كهذه لأصدقائها!» لقد تأثرت ليانا بهذه الهدية.

«لقد تركت لك أيضاً هذه الكنبة التي أجلس عليها. وتلك الكرسي هناك، والكرسي الذي بجانب النافذة.»

كان هناك تقطع في صوته مما جعل ليانا تنظر إليه. إحتارت وعادت تبدي إعجابها بكرسيها الجديد.

وأردف قائلاً: «في الحقيقة، لقد تركت لك كل كراسي الغرفة. كل كراسي البيت، لنكون أكثر تحديداً.»

كان يرمي إلى شيء ما. جلست ليانا هادئة متنبهة وهي تسأل: «ماذا تعني بقولك إنها تركت لي كل كراسي البيت؟» فجأة شعرت بثورة غاضبة قد تتفجر في وجهها.

«أعني ما أقول، يا عزيزتي السنيوريتا. لقد كانت تياغلوريا كريمة معك. كريمة جداً وبلا حدود فقد تركت لك كل خشبة في هذا المنزل دون أن نذكر أسماءها ونضيع وقتنا في عدّها، كذلك تركت السجاد، واللوحات الزيتية... في الحقيقة، فقد تركت لك كل محتويات البيت الداخلية...»

دهشت ليانا، هل تصدق؟ انها غير قادرة على استيعاب ما تسمع.

«... و... وبما أنه قد لا تجدين مكاناً لتضعي هذه المفروشات فيها، فقد تركت لك البيت أيضاً!»

«هذا البيت؟» لا إنه يمزح ويهزأ مني بالتأكيد؟ ولكن لم تر في عينيه الداكنتين ما يشير إلى الهزء أو المزح. «نعم، يا سنيوريتا، الآن أصبح هذا البيت ملكك. وبالطبع معه خمسة الآف فدان من أهم الأراضي الخصبة في الأرجنتين!»

نهض فيليب واقفاً على قدميه، لأنه لم يعد قادراً على السيطرة على مشاعره وغضبه وثورته. هذا ما بان في عينيه الداكنتين، في نظراته، في تحركه المضطرب.

«لا تتظاهري أمامي بالمفاجأة! لا تتعجبي! كفي عن هذه التمثيلية الساذجة! لست بريئة، أنا متأكد من أنك قد خططت لكل هذا. ما أنت إلا امرأة مخادعة وسارقة يا سنيوريتا!»

«لا... لا أعلم شيئاً عن هذا الموضوع!» كان رأس ليانا يهتز يساراً ويميناً نافية هذا الكلام. «أنا لست لصة ولم أخطط لأي شيء.» لم تعد قادرة على فهم ما يجري. على

استيعاب كل هذه المفاجآت التي كانت عبئاً ثقيلاً على كاهلها.

تقدم فيليب منها غير آبه باحتجاجها. كاد ينفجر غضباً عندما قال: «ولكنك أغفلت شيئاً في خطتك هذه، هو، أن عليك مواجهتي قبل أن تستولي على هذا الإرث المغتصب!» دوى صوته كالرعد «والخطأ الكبير الذي اقترفته هو أنك قد اخترتني عدواً لك.»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

خيّم صمت لبرهة، بينما كانت ليانا تتأمل وجه فيليب الغاضب، لم تكن تسمع، بعد ثورة الغضب هذه، إلا دقات قلبها المتلاحقة. ما الذي يجري؟ فكرت بكآبة وحزن عميقين. ما هذا المأزق الذي وقعت فيه؟

إبتعد عنها وكأنه لم يعد يحتمل رؤيتها، ووقف مواجهاً للنافذة الفرنسية الكبيرة. كشفت لها كتفاه من تحت القميص الأبيض عن قوة وعن عزم فائقين.

خاطبت ليانا هذا الظهر العريض المنكبين، وهي جالسة في مقعدها بنبرات رقيقة حاولت أن تتصنعها.

قالت: «لِمَ لا تصدق ما أقوله؟ ولكن الحقيقة هي أنني أؤكد لك أني لا أعرف شيئاً عما تتكلم، لا أعلم شيئاً عن أية خطة ومكيدة تتهمني بها؟»

لم يجب فيليب. وتابع تحديقه خارج المنزل وظهره العريض ما زال يثير الرعب في نفس ليانا.

قالت «أؤكد لك أنني لم آت إلى هنا إلا تلبية لطلب منك، أنت من أرسل البرقية واستدعاني، هذا كل ما أعلمه.»

لم تستطع تصديق ما يجري حولها؟ هل صحيح ما أخبرها عن إرثها؟! هل أصبحت حقاً تملك الآن هذا البيت وكل هذه الأرض؟

«ألم تكن لديك فكرة عن ذلك؟» بدت لهجته قاسية. ولم ينظر إليها.

«لا فكرة لديّ على الإطلاق. من أين لي أن أعلم؟ حتى أني لم أكن أعرف أن العمة غلوريا تملك كل هذا. لم تخبرني في رسائلها أبداً شيئاً من هذا القبيل. لم أكن أعلم أنها امرأة ثرية!»

هزّ رأسه ساخراً غير مقتنع ورمقها بنظرة دون أن يدير ظهره نحوها. «بالطبع، لا تعرفين!» قالها بلهجة مفعمة بالسخرية والتوبيخ.

«إنني حقاً لا أعرف صدقني!» هل يعتقد أنها دبرت مؤامرة لترث عمتها وتملك ما تركته العمة الحبيبة بعد موتها؟

ساد جوّ من العداوة والحقد، ولكنه مضحك في الوقت نفسه «لم أكن أعلم شيئاً. كل ما أعرفه عن العمة غلوريا، انها تعيش في ضاحية صغيرة في بيت ريفي متواضع يدعى الدوتادو.»

ابتسمت، وهي تتذكر دهشتها عندما وصلت إلى مطار بيونس آيرس، وأوقفت سيارة أجرة وطلبت من سائقها أن يقلّها إلى الدوتادو. لقد كان سائق السيارة صريحاً معها، إذ أخبرها عن الأجرة التي يريدها قبل أن تستقل السيارة. «إن المسافة أكثر من ستماية كيلو متراً، يا سنيوريتا،» قالها السائق وهو يعلم أنها لن توافق لأن المبلغ الذي طلبه منها كان كبيراً. وهكذا فضلت أن تستقل الباص.

كانت الرحلة شيقة وشاقة، فقد انطلقت من بيونس آيرس عبر أراضٍ شاسعة كلها في منطقة الدوتادو حتى وصلت إلى هذا البيت.

«كنت مذهولة طوال الطريق حتى وصلت إلى هذا المكان!»

أكدت ذلك مجدداً لفيليب.

«أراهن بأنك كنت تعلمين!» كان صوته حاداً. أدار وجهه ووقف مواجهاً لها. «أعتقد أن ما حصلت عليه يفوق ما كنت تتوقعينه.»

«لم أكن لأطمع في شيء!» قفزت ليانا من مكانها تشتعل غضباً، لم تعد تستطيع تحمل تلميحاته. «كفى اتهاماً لي. لقد سئمت هذا الأسلوب... ليس لك الحق في اتهامي كما أنه ليس لديك سبب لذلك.»

«إنهما اعتباران خاطئان.» خطا فيليب خطوة واحدة نحوها. «أولاً أنا معي كل الحق، وثانياً هناك أسباب كثيرة لإتهامك، فما أنت إلا امرأة منقبة عن مناجم الذهب يا سنيوريتا.»

إزداد اقتراباً منها حتى صارت قادرة على الإحساس بأشعة الشمس الدافئة التي تنبعث من جلده، وتشعر بنعومة الشعر الأسود الذي يغطيه. إختلج شيء في داخلها. شعور بخطر مفاجيء. تمالكت نفسها وقاومت، كيلا تهرب من أمامه.

نظرت في العينين السوداوين، شعرت بقوة تختبيء خلفهما، فأحست، كما شعرت عندما رأته لأوّل مرة... انه رجل قادر على أن يجمع بين عواطفه وعقله معاً، يعمل بهما ويوجههما كما يريد.

إنه على حق، فهو ليس الرجل الذي يختاره المرء عدواً له.

قالت بصوت ثابت: «أنا لست منقبة عن مناجم الذهب.»

«إذن ماذا تسمين امرأة شابة ذكية مثلك، استطاعت أن تحتال على امرأة عجوز، وهي تموت، لترث كل ثروتها؟»

صعقت ليانا عندما سمعت كلامه هذا. «تموت؟ ماذا تعني بكلمة تموت؟ كنت أعرف أن العمة الكبيرة غلوريا مسنة، ولكنني لم أكن أعرف أبداً أنها مريضة أو أنها ستموت.»

«تماماً! مثلما لم يكن لديك فكرة أنها كانت ثرية أيضاً؟» كان الشك في نظراته، في عينيه وفي كلامه. «يا لك من مخلوق بريء أنت حقاً ممثلة بارعة، كاذبة، ومحترفة أيضاً.» كانت تعابير وجهه تخبيء الكثير من الإهانات التي لم يتلفظ بها بعد.

إنتصبت ليانا واقفة وقالت: «أنت مخطيء من الطبيعي أن لا تصدقني، كيف أستطيع إقناعك بأنني كنت وحتى وصولي إلى هذا المكان أجهل مرض عمتي غلوريا وأنها ستموت، وأجهل غناها، بماذا أقسم لك لتصدقني؟»

«هل تعنين أنك حقاً لم تعرفي أن العمة غلوريا كانت طريحة الفراش في السنتين الماضيتين، وأنها كانت تعاني من مرض في قلبها؟»

«لم أعلم شيئاً عن هذا الأمر، فهي لم تذكر أو حتى لم تلمح إلي أي شيء عن مرضها في رسائلها.»

«ألم تذكر لك شيئاً عن هذا البيت والمزرعة أو أي شيء آخر؟ ألم تخبرك بأنها أغنى امرأة في هذه المنطقة؟»

«لا بشيء من هذا القبيل! أقسم لك. إنها لم تذكر لي أية كلمة توضح فيها عن هذا الأمر، لم أشعر في رسائلها بأنها إنسانة فقيرة ومحتاجة، ولكني كنت أعتقد أنها إنسانة عادية ومتواضعة.»

www.elromancia.com

«عادية ومتواضعة! كم أنت بارعة في التعبير. إنك تؤدين دورك ببراعة وإتقان!» قفز فيليب غاضباً، وقد نفد صبره. أخذ علبة الشراب عن الطاولة وارتشف منها آخر نقطة.

ثم عاد والتفت إلى ليانا قائلاً: «لكن يا سنيوريتا، إن لم تكن العمة غلوريا قد أخبرتك شيئاً عن ثروتها، لا تنسي والدتك التي تربت وترعرعت هنا في المزرعة في هذا المكان بالذات. ألم تخبرك بأن العمة غلوريا لم تكن امرأة عادية؟» والدتك ، تأثرت كثيراً لسماعها هذه الكلمة، اعتراها شعور مفاجيء بالحزن والأسى معاً.

فاضت عيناها بالدموع حسرة ولوعة. مالت بوجهها عنه، ثم أخذت نفساً عميقاً محاولة بجهد أن تبعد عنها ألم الحزن الذي عصر قلبها وهزّ كيانها.

تردد صدى صوتها في الغرفة وهي تقول: «لم تخبرني والدتي شيئاً عن العمة غلوريا.»

أدرك ألمها وحزنها، ونظر إليها قائلاً: «إني آسف لوفاة والدتك.»

كانت مجرد كلمات لا قيمة لها، ولكنها لم تأبه لذلك. أومأت برأسها وهمست: «شكراً.» فمنذ وفاة والدتها في العام الماضي، وهي تحاول أن تستجمع قواها لتقاوم تلك الفاجعة. وقد استطاعت أن تتغلب على هذه المحنة القاسية بصعوبة. كانت قوية بالرغم من أن موت والدتها الحبيبة كان مفاجئاً.

رفعت عينيها لتلتقي بعيني فيليب. تمالكت نفسها مرة أخرى وقالت: «لم تخبرني والدتي شيئاً عن العمة غلوريا. كنت أعرف فقط أنها كانت موجودة... أن لي عمة اسمها

غلوريا. فقط هذا كل ما كنت أعرفه عنها. كان ذلك بعد الحادث.» ارتجف صوتها وتابعت: «بعد وفاة والدتي... أرسلت العمة غلوريا برقية تعزية، بعدها بدأت أراسلها ولكن، كما قلت لك، هي لم تخبرني عن أموالها ولا عن مرضها في رسائلها!»

تابع فيليب مراقبتها بعينيه الغامضتين. ثم خطا خطوة إلى الوراء وجلس على الأريكة. «أرى أنه من الصعب أن أصدق كلامك وأن والدتك لم تخبرك شيئاً عن عمتنا.»

«هذه مشكلتك.» قالت ليانا بصراحة: «على كل حال هذا لن يغير الحقيقة.»

نظرت إليه وشعرت براحة وإطمئنان لبعده عنها، ولكنه ما لبث أن وقف حتى صار يطل من فوقها كالبرج العالي. وما لبث أن اتجه نحوها فاربكها قربه منها.

ترددت للحظة، فكرت بالجلوس على الأريكة، ولكنها فضلت البقاء واقفة في مكانها لتنظر إليه عن كثب. لتتفحصه بإمعان.

أسند نفسه إلى وسائد الأريكة. كان شعره الأسود يلمع تحت أشعة الشمس. فجأة، رأته ولأوّل مرة جميلاً. ولكن طبعه كان رديئاً كثورٍ هائج.

تظاهر بأنه لم ينتبه لإمعانها النظر إليه. ومدّ ساقيه الطويلتين إلى الأمام. «أجل. معك حق لا شيء يستطيع أن يغير الحقيقة.»

ساد الصمت المكان. أخذا يتبادلان النظر، هناك أشياء تريد ليانا معرفتها. عن البيت، عن المزرعة، عن العمة غلوريا. ولكن بالتأكيد ليس فيليب الشخص المناسب لتطرح

www.elromancia.com

عليه مثل هذه الأسئلة، فقد كوّن عنها صورة بشعة وهو غير مستعد لسماع أي سؤال تطرحه عليه.

شيء واحد تريد معرفته. «هل توفيت العمة غلوريا بسلام؟ هل توفيت في المستشفى؟ أم هنا في البيت؟»

«توفيت في سريرها. هذا ما صلّت من أجله دائماً.» كان صوته هادئاً. «لقد كنت معها عندما توفيت.» أومأت ليانا برأسها إذ شعرت بامتنان وسرور لعلمها أن العمة العجوز لم تفارق الروح وهي وحيدة.

توقف تفكيرها عندما نظر إليها فيليب. «كانت المراسلة بينكما قائمة بمعدّل رسالة في الأسبوع. إنك فعلاً قمت بمجهود كبير.»

لم يكن ذلك عملاً شاقاً. بل كان مسلياً ومثيراً. فإرسال الرسائل أصبح أمراً طبيعياً.

ولكن لم تقل ليانا هذا. ولكي يتابع سخريته قالت له: «يظهر أنك تعرف الكثير، هل أخبرتك العمة غلوريا بأننا نتبادل الرسائل.»

«نكرت هذا.» رفع ساقاً فوق الأخرى. «ولكن لم يكن لي علم بتفاصيل تلك المراسلات حتى اكتشفت رسائلك في اليوم التالي.»

تنبهت فجأة فلمع شيء في مخيلتها. الآن أدركت من أين أتى بكل هذه المعلومات عنها. عن حياتها الخاصة، عن خطوبتها وعن عمل خطيبها كمستشار للضرائب في المدينة.

نظرت إليه بلوم معاتبة. «أنت قرأت رسائلي؟ لا أعتقد أن لك حقاً في هذا!»

نظر إليها وقال: «لِمَ أنت مضطربة هكذا؟ هل أنت خائفة لإكتشاف كل أسرارك؟»

«لا، لست خائفة، لا أسرار عندي لكي أخجل منها! كل ما أفكر به هو فضولك الخالي من التهذيب.»

«هكذا إذن؟»

«طبعاً!»

«هذا شيق، حسناً، دعيني أريك الطُعم الذي لا تعترفين به، طالما أننا نتبادل الآراء.» ثم جلس على مقعده ورمقها بنظرة. «الذي أعتقد أنه طُعم هو إغراء العمة غلوريا بكلمات معسولة وعاطفية، وعدك لها بزيارتها في القريب العاجل، وإخبارها بحبك المفاجيء القوي لها.»

«لقد كنت فعلاً أنوي زيارتها!»

«طبعاً، بعد أن توفيت ودُفنت! لم تكلفي نفسك عناء الزيارة عندما كانت على قيد الحياة. ولكنك تركت كل شيء وجئت. أتيت في أوّل طائرة قادمة إلى هنا عندما حان الوقت لتستلمي الميراث.»

أغضبها كلامه. طبعاً هذه لم تكن الحقيقة. لم تعد تحتمل خبثه واستفزازه لها، ولكنها صممت ألاّ تجيبه.

ثم تمالكت نفسها وقالت: «لا يحق لك أن تتهمني هكذا. كنت أخطط لزيارتها برفقة كليف. وقد حددنا الموعد في عطلة الفصح القادم.»

«تأخرت قليلاً، أليس كذلك؟» كانت نبراته قاسية ولئيمة. «لقد حدد طبيبها احتمال فترة عيشها حتى آخر شهر آب الماضي، وبعد هذا التاريخ كل لحظة عاشتها كانت فوق تقدير الطبيب.»

«ولكني لم أكن أعلم بذلك، لو عرفت لكنت أتيت في الوقت المناسب. إنك لا تدرك مدى شوقي لرؤيتها، وتوقي لمقابلتها والتعرف إليها عن قرب.»

«أراهن على ذلك!» تحرّك فيليب بغضب وقد نفد صبره. «لهذا انتظرت أربعاً وعشرين سنة؟» توقف برهة. «هل أنا على حق؟ هل أنا؟ إنّها أربع وعشرون سنة، كنت متشوقة لرؤيتها؟ هل كلفت نفسك عناء زيارة سيدة عجوز؟»

«لم أكن على اتصال بها قبل وفاة والدتي. ليس من العدل أن تتهمني بأشياء أنا بريئة منها! لو كنت أعلم أنها مريضة لكنت جئت في الحال، لم أهتم لأي ميراث، كل همي كان عمتي، وعمتي فقط.»

لم يهتم لاحتجاجها. كان ذلك واضحاً من نظراته الداكنة إليها والتي سئمت منها. كان قد كوّن فكرة عنها، وهو غير مستعدٍ لتغييرها.

تنهدت ليانا، وشعرت بإحباط. لم تحاول إزعاج نفسها بالدفاع عن أشياء لم تفعلها. على أية حال، تركته يعتقد كما يحلو له. لم يعد يهمها الأمر.

نظرت إليه، ورأته مخلوقاً بغيضاً، ولكن، فجأة، راودتها فكرة. فكرت قليلاً وقالت: «بشأن تلك الرسائل التي سمحت لنفسك بقراءتها... الرسائل التي كنت قد أرسلتها إلى العمة غلوريا...»

«تلك التي تكشف خداعك للأرملة المسكينة لكي تهبك ثروتها؟»

تجاهلت ليانا كلامه وتابعت: «كما كنت أقول، فهذه الرسائل كانت خاصة...»

«لم تعد ملكك، إنها من أملاك تياغلوريا.»

«ومن ممتلكاتي، بما أن هذا المنزل، وكل ما فيه ملكي. لذا فمن المحظور عليك قراءة الرسائل، أليس كذلك؟»

«كذلك تعتقدين أنه ليس لي حق بالجلوس على هذه الأريكة!» قال هذا وهو يزيد من تمدده على الوسائد، كانت عيناه تلمعان بتحدٍ. «ألم يعد لي الحق في أن أمكث في هذا المنزل؟ هذه أمنيتك. إنك تريدين طردي خارجاً بالتأكيد.»

راقت لها هذه الفكرة. وفكرت في تنفيذها، ولكنها ابتسمت وقالت: «لم أكن لأحلم بهذا. وكما ترى فأنا مضيافة وكريمة، وهذه من طبائعي وخلقي.»

عندما ابتسم ابتسامة صافية ولأول مرة. كانت ابتسامة حقيقية تعجبت منها وشعرت بقوة وراء هذه الإبتسامة المفعمة بالدفء والحنان.

«إنها مريحة.» كان ما يزال يبتسم عندما قال: «أن يُطرد المرء من قبل امرأة شابة مثلك، أمر محرج، ولكنه شيّقٌ.»

كان يسخر منها، بالطبع، وكانت واعية لهذا الأمر، فليس بمقدور فتاة ضعيفة مثلها أن تطرد إنساناً كفيليب ماندين من مكان لن يسمح لأحد بطرده منه.

شيء غريب أحست به. خلف سخريته هذه. إنه تلميح إلى تحدٍ عاطفي.

التحدي العاطفي كان شعوراً غير ملائم. والأسوأ هو تجاوبها معه، فالرجل هو ابن خالها، وهي مخطوبة وستتزوج قريباً. هذا شيء لا يحتمل!

قالت جادّة: «إنه لعمل سيىء أن لا تحسن معاملة ضيوفك

والأسوأ من هذا قراءة رسائلهم الخاصة.» أرسلت كلماتها هذه وكانت تنتظر منه نظرة غضب ورفض. «إنما، وكما قلت لك سابقاً، فعلك هذا لا طعم له.»

«خصوصاً عندما تكون محتويات الرسالة تضعك في موضع تساؤل وشك.»

تململ في جلسته ومال أكثر على الوسائد ممدداً جسده، ثم بسط ذراعه على مؤخرة الأريكة فظهر اللون البرونزي على عضلاته القوية. عليها أن تعترف بأن عضلاته تشبه عملاً فنياً يُظهر الرجولة.

هربت بنظراتها منه. «هذا هو تحليلك، فأنت، ولسبب ما، تريد إلحاق الضرر بي.» جلست ونظرت إليه مجدداً وقد وضعت يديها على جانبي الكرسيّ. «ولكن هذا لا يغير الواقع فلا شأن لك برسائلي إلا للإفادة منها.»

«ولكنك مخطئة بهذا الشأن.» تحركت يداه ولمحت ليانا صلابة عضلاته تحت بشرته البرونزية. «لي الحق أن أقرأ هذه الرسائل...»

«لماذا؟ ألأنك ابن أخيها الأكبر؟»

«لا، لم أقل ذلك.»

«إذن ما الذي تقوله؟» هزت رأسها وأضافت قبل أن يجيب: «هذا البيت هو ملكي، أنت من قال لي هذا، هذا البيت وكل شيء في داخله. هذا ما يؤكد لي أنك لا تملك حق قراءة الرسائل.»

تأملها بعينيه الداكنتين. «لا تكوني جشعة. ليس من العدل أن تقولي أن كل شيء ملكك.»

صمت برهة. كانت كافية لتلوّن وجنتيها باللون الوردي.

فهي ليست جشعة، ولم تعرف الطمع في حياتها. ولكن الطريقة التي نظر فيها إليها، جعلها تشعر بالذنب. إرتبكت عند سماعها بالجشع وقالت كأنها تعتذر: «اعتقدت أنك قلت لي أن كل شيء في المنزل أصبح ملكي.»

«لو قلت هذا، فالخطأ هو خطئي يا سنيوريتا. البيت، المفروشات، واللوحات، والسجاد، وحتى الملاعق والشوك، وأواني المطبخ وكذلك الملبوسات في الخزائن والكتب على الرفوف. فكل هذه الأشياء. بفضل مراسلاتك المؤثرة، أصبح قانونياً لك ولكن مع وقف التنفيذ. أي دون حق.»

صمت برهة ثم رفع أصبعه، وأشار به نحوها، أزعجتها حركته هذه. «أما بالنسبة للرسائل وغيرها من الأوراق الخاصة بتياغلوريا فهي ملكي أنا.»

«هكذا إذن.»

«أنا مسرور لسماعك هذا الأمر، لذا ستفهمين أنه كان من حقي قراءة هذه الرسائل.»

تعجبت ليانا من إصراره على إثبات حقه في قراءة الرسائل وقررت أن لا ترد عليه. كل شيء يقوم به بنية الأذى. كان يتعمد إزعاجها به...

وضعت ساقاً فوق ساق، وكلمته بنبرة سيدات الأعمال: «من الأفضل أن أتصل بمحامي العمة غلوريا لأعرف منه ما هو ملكي، وما هو ليس ملكي.»

«حسناً،» كان يتأملها بنظراته الوقحة. «هذا سهل جداً، البيت وكل محتوياته هو ملك لك، ما عدا الأوراق الخاصة، الأراضي التي في المزرعة هي الآن من

ممتلكاتك... وبالطبع الخمسة آلاف فدان من الأراضي الزراعية...!»

هزّت ليانا رأسها بدهشة «إنه شيء غريب» تمتمت: «لماذا يا ترى تركت لي العمة غلوريا البيت والمزرعة كلها؟»

«نصف المزرعة.»

«عذراً، ماذا قلت؟»

«لقد قلت، نصف المزرعة.» ابتسم فيليب ببرود. «لقد تركت القسم الآخر لي.»

نظرت إليه وهي تريد مزيداً من الإيضاح.

«تقوم المزرعة على عشرة آلاف فدان، خمسة آلاف لك وخمسة آلاف لي.»

«هكذا إذن؟»

«نعم، نحن الآن شريكان.»

«يا لسوء الحظ!»

«وهذا هو شعوري أيضاً. ولن أستطيع إيجاد ترتيبات أخرى تكون أقل إرضاءاً لك.»

«طبعاً لن تستطيع.»

«اسمعي... إن فكرة تقسيم الأراضي بيني وبينك هي فكرة سيئة.» نظرت ليانا إليه فجأة. فهمت ما كان وراء تصرفاته الخبيثة. فهمت لِمَ كان يُسيء معاملتها. كان واضحاً أنه اتهمها بالجشع بينما كان الطمع يسيطر عليه.

كرهه لها، سببه الوحيد هو أنه يطمع في الميراث كله، دون أن يشاركه فيه أحد.

أحست بنشوة النصر لإدراكها هذه الحقيقة. اكتشفت سبب سوء معاملته لها. أحست بأنها قد انتصرت عليه، وستحطم أنفه المتكبر عندما تكشف له حقيقة أمره، وجشعه الذي لا حد له.

لم تستطع أن تمحو إبتسامتها الماكرة عندما واجهته بقولها: «من الأفضل لنا أن يُقيم كل في قسمه الخاص به بعد أن نقسم الأرض بيننا.»

ابتسم فيليب بمرح «حلّ مناسب، ولكن لسوء الحظ فالوصية تنص على بقاء المزرعة دون تقسيم، فنحن الآن نملك الكل معاً وهذا ما لا يناسبك طبعاً!»

«غير مناسب.» هي الجملة المناسبة، إذ أنّ أية فكرة تربطها بهذا الرجل البغيض تحطم كبرياءها.

نظرت إليه بصمت، بعينيها العسليتين اللتين تعبران عما يجيش في داخلها من مشاعر. كان يجلس على الأريكة وينظر إليها مبتسماً بحقد وعداء.

«هناك نقطة أخرى في هذه الوصية بالإضافة إلى إبقاء المزرعة دون تقسيم.»

لم يكن هناك حاجة لتسأله ما هي النقطة الأخرى. فقد كان مستعداً للإفصاح عنها بسرعة. فهذه النقطة بالذات هي لبّ الموضوع ومحور طمعه وجشعه. «لقد أكدت تياغلوريا على شيء واحد... وأساسي... وهو أن للوصية شرط أساسي وهو أن يقوم المنتفعان بها، يعني أنت وأنا، على العمل في المزرعة لضمان استمرارها.» إبتسم وقال: «وهذا ما كنت أقوم به هنا، كنت أؤدي عملي وواجباتي، لا لانتظارك أو استقبالك أو الترحيب بك، كما ظننت...!»

www.elromancia.com

ثم تابع شرحه للوصية: «وإذا أثبت واحد منهما أنه غير قادر على حمل هذه المسؤولية بعد ستة أشهر من الإستلام، تنقل حصته إلى الشريك الآخر.»

إبتسم متلذذاً. «بكلام أوضح يا سنيوريتا، وبعد ستة أشهر ستنتقل إليّ هذه المزرعة وهذا البيت ومحتوياته، حيث نجلس، والخمسة آلاف فدان خاصتك... وستبقين بدون أي فلس.»

«لا تكن متأكداً من ذلك.» نظرت إليه نظرة سريعة. إنّه يريد الإرث كله، هذا ما يرمي إليه.

«آه ولكنني متأكد.» وقف فجأة ونظر إليها بعينين متغطرستين داكنتين. «كل خططك ستبوء بالفشل الذريع! حتى أنك ستخسرين ثمن طوابع البريد.»

وقفت ليانا بهدوء، وقالت وهي تعتدل بوقفتها: «آه، لا.» قالتها بنعومة: «لن أدعك تضع يدك على أملاكي.»

«وكيف ستمنعينني؟» إلتفت نحوها بعصبية. «بعد أيام ستعودين إلى لندن ولا تستطيعين إدارة المزرعة من هناك.»

وأضاف بنبرات مليئة بالسخرية: «تمتعي بإجازتك هنا، تمتعي بمراقبة إرثك المؤقت الذي سينساب من بين أصابعك كالشلال!»

«لن ينساب من بين أصابعي.»

«ولكن هذا ما سيحدث، إنني أؤكد لك.»

«وأنا أؤكد لك أن هذا لن يحدث أبداً.»

رماها بنظرة قاسية من فوق كتفه: «بعد ستة أشهر سأحصل على كل هذه الأملاك.»

حدّقت به وهو يمشي نحو الباب. إنه مخطىء، لن أدعه يضع يده على حصتي.

سأتمسك بكل خشبة وحجر فيه. وهذا وعد قررت أن تفي به بصمت.

كيف ستقوم بهذا؟ لم تفكر بعد، ولكنها ستجد طريقة ما. لن تدع فيليب يتمتع بأشياء كانت تمتلكها.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

اكتشفت ليانا في اليوم التالي أن الوعد الذي قطعته على نفسها صعب عليها أن تحققه. ستكون أعجوبة لو استطاعت منع فيليب من وضع يده على الميراث كله...

لقد تأكدت من صحة كلامه عن الوصية. فهي، ولكي تتمكن من الحصول على الميراث، عليها أن تقوم بإدارة المزرعة بنشاط. فقد كان من المؤكد أن ظروفها ستكون عائقاً أمام تغيير هذه الوصية، وسينتقل البيت وحصتها في المزرعة والأراضي إليه حتماً. جلست ليانا والمحامي (منفذ الوصية) مدة ساعتين في مكتبه الخاص في ترانك.

فسر السنيور بادرو كارينو لليانا بنود الوصية وكيفية تنفيذها. فكل بند كان محزناً أكثر من الآخر.

«أرى أن من الصعب عليك تنفيذ هذه الوصية. فالواضح أنك غير قادرة على إدارة المزرعة الواقعة في الجهة الأخرى للمحيط الأطلنطي.» صمت لحظة، ثم أضاف: «ولكن من الممكن أن نجد طريقة ما لحلّ هذه المسألة.»

«هل هذا معقول؟» لمعت عيناها بفرح.

«هذا ممكن!» هزّ رأسه. «مع أنه وبالطبع، لا أستطيع أن أعدك بشيء.»

«لا تهتم للوعود. أتمنى أن تحاول.» قالتها بحماس «أرجو أن تفعل ما في استطاعتك، هذا ما أطلبه منك.»

خرجت من مكتبه هي تفكر بما علمته من معلومات عن

هذه الوصية الغريبة. وقد زودها كارينو بمعلومات عن فيليب ماندیز دون أن يقصد، وذلك من خلال حديثها عن الميراث. فقد عرفت الآن السبب الذي جعل فيليب يسيء استقبالها. فهو، كما أخبرها المحامي، إنسان نذل وسافل.

وحان وقت الظهر. إنها تشعر بجوع قوي، فهي لم تذق شيئاً منذ الساعة السابعة والنصف صباحاً. نظرت ليانا حولها وهي تحاول إيجاد مطعم أو مقصف تستطيع أن تتناول الطعام فيه. وأخيراً إبتسمت لرؤية مقصف في زاوية الشارع.

إنتظرت لحظة وسط ضجيج السيارات، ثم أسرعت نحو المقصف. كانت قد رأت أماكن كثيرة في البلدة، فهو نقطة وسط بين المطعم والمربع، ولكن هذا الماتادور، كما يفهم من اسمه، يحوي العديد من الأصناف المتنوعة واللذيذة.

دخلت ليانا المقصف حيث شعرت ببرودة المكان المكيف بالمراوح، قادها النادل إلى طاولة في الزاوية. وأعطاها قائمة المأكولات. إستطاعت بجهد أن تطلب كوباً من عصير البرتقال مع الطبق اليومي. إذ كانت القائمة مكتوبة باللغة الإسبانية.

شعرت بالراحة في هذا المكان مع أن المحامي كان قد ملأ رأسها بالهموم. تذكرت كلام فيليب عندما قال لها: «سآخذك إلى المحامي، فأنت لا تعرفين المدينة، ومن الممكن أن تضيعي طريقك إلى البيت، تمنت لو يأتي في هذه اللحظة ويراها!»

عندما خرج كالعاصفة من الغرفة بعد النقاش الذي جرى بينهما وهددها بأنه سيبتلع إرثها، واختفى لمدة، ثم ظهر

بعد حوالي نصف ساعة أمام غرفتها بينما كانت هي تفرغ حقيبتها من الملابس، وتعمل على تعليقها في الخزانة بعد ذلك، قال لها: «لماذا تكلفين نفسك هذا العناء؟ فلا حاجة بك لإفراغ الحقائب، إذ أن إقامتك هنا ستكون لفترة قصيرة...»

رمقته ليانا بنظرات حادة وقالت له مؤكدة: «ليس هناك أي عناء فأنا لن أترك ملابسي هكذا، لأنني أريد أن أظهر بمظهر لائق.» قالت هذا ونظرت إلى الجينز البالي والقميص المرفوع الأكمام الذي يرتديه. أخبرته عيناها بأنها لا تريد أن تبدو مثله. لا تريد أن تبدو كمتشردة.

إبتسم فيليب غير آبهٍ وقال: «إنك تتعبين نفسك من أجل يومين فقط، وبعدها ستعود ملابسك مجدداً إلى الحقائب.»

إبتعدت ليانا عنه ولم تجب. لقد أصاب في تقديراته، فهي لم تخطط للبقاء طويلاً. كانت تفكر بالبقاء لمدة أسبوع على الأكثر، ولكنها كانت تنزعج لمجرد تفكيرها بأن فيليب سيحصل على مبتغاه.

كانت تدير ظهرها له وهي تعلق ملابسها عندما قالت له: «أريدك أن تعطيني اسم محامي العمة غلوريا. أريد أن أقوم بمقابلته في القريب العاجل.»

«عليك بالطبع مقابلته، فهناك بعض الأوراق مما يلزم توقيعك عليها. سوف آخذك إلى مكتبه غداً.»

التفتت ليانا نحوه. «ذلك ليس ضرورياً. أعطني الإسم ورقم الهاتف، فأنا قادرة على تحديد موعد المقابلة.»

«اسمه بادرو كارينو، ليس عندي رقم هاتفه، ولكن أستطيع الحصول عليه بسهولة.»

دهشت ليانا لتعاونه هذا. فهي كانت تتوقع صعوبة أخذ

المعلومات منه، إبتسم وكأنه قرأ أفكارها وقال: «على كل حال، ليس لرقم الهاتف أية فائدة، إذ أنه ليس هناك هاتف في الدوتادو.»

«لا يوجد هاتف هنا؟» لم تكن تفكر في كارينو، كان همها أن تتصل بكليف فور إنتهائها من إفراغ حقيبتها من الملابس وتنظيمها. كيف ستخبره بأنها وصلت بسلام إلى الدوتادو.

كان فيليب يبتسم ويتمتع برؤية ارتباكها. «كانت السيدة العجوز غريبة الأطوار، فهي لم تسمح بتمديد خطوط هاتف إلى البيت. ولهذا قلت لك أنك لست بحاجة إلى رقم هاتف كارينو.»

عادت ليانا بأفكارها إلى كارينو. «إذن أعطني عنوانه، فأنا سأذهب بنفسي وأحدد موعداً معه.»

نظرت إليه وهي تنتظر جوابه. «أما إذا كان لديك مانع، فإني سأجد العنوان بنفسي.»

«هذا صعب جداً.»

«لماذا؟ أين هو المكان؟»

«مكتب كارينو في ترانك لاكان، على بعد مئة كيلو متر من هنا.»

مئة كيلومتر. هذا كل ما أرادت معرفته. فقد قطعت المسافة نفسها في باصٍ مزدحم وشعرت كأنها تقطع ضعفي المسافة التي قطعتها من بيونس آيرس إلى ترانك لاكان، ولكنها الآن، أمام هذا التحدي، مستعدة لأن تعيد هذه الرحلة في الغد...

أبعدت ليانا عن فيليب فكرة اصطحابها له.

قالت له: «إنها ليست مشكلة، سأستقل الباص. وسأتصل بكليف من ترانك لاكان.» أكملت حديثها في سرّها وقد شعرت بارتياح لأنها حلت مشكلتين في آن واحد.

«ولكن، هل تعتقدين أن قضاء ليلة في ترانك لاكان مناسب لفتاة مثلك؟ أنت تعرفين أنه لن يكون هناك باص آخر إلاّ في اليوم التالي.» إتكأ فيليب على قبضة الباب وقال: «أرى أنّه من الأفضل لك أن تقبلي عرضي.»

هناك سبب واحد لعرضه هذا. فهو لم يهتم لمساعدتها ولم يقدم لها أية معونة. فكل همّه الآن أن تنجز أعمالها بسرعة، وترجع إلى لندن لتترك له المزرعة. ثم يبدأ بالعد العكسي لحين إنتهاء مدّة الستة أشهر، وعندها ينتقل إليه الإرث كلّه.

ولكنه مخطىء في هذا، فهي لن تدعه يتغلّب عليها. «لا بد من وجود وسيلة ما غير الباص للوصول إلى ترانك لاكان؟» وعادت تلح بطلب العنوان.

«أخبريني أنت.» رفع كتفيه العريضتين وكان ما يزال واقفاً عند الباب. إنه رجل غريب يتمتع بإيقاعها في مأزق.

«سيارة؟ ماذا عن السيارة؟ هل هناك من سيارة أستطيع استعارتها؟»

«هناك سيارة... لست بحاجة لإستعارتها. فهي لك. إنها في المرآب الذي إلى جانب البيت.»

عظيم، سآخذ السيارة.» إبتسمت ليانا إبتسامة رضى وإرتياح. لحسن الحظ كان لديها بُعدُ نظر لجلبها شهادة سوق دولية. «وهناك سأصل إلى الحلول المناسبة لمشاكلي!»

«أظن أن من الأفضل والأسهل لك أن تدعيني أرافقك، فأنت لا تعرفين الطريق وقد تضلين المكان. أنا أؤكد لك ذلك!»

«حسناً سآخذ أحد عمّال المزرعة. لا بد من أن هناك من يعرف الطريق؟»

«أنا متأكد من أن كل العمّال يعرفون الطريق... ولكننا لا نستغني عن أي منهم وذلك لحسن سير العمل في المزرعة.» رمقها بنظرة حقد. «هناك خياران أمامك، إمّا أن تذهبي معي، أو لا تذهبين أبداً.»

التقت العينان السوداوان الداكنتان مع العينين العسليتين وتصادمت. كان في الإمكان سماع صدى رنين أجراس في أرجاء الغرفة، وتيارات كهربائية تملأ الهواء حولهما.

هربت بعينيها منه وأدارت ظهرها له، وتابعت عملها. ثم قالت بهدوء مزيف: «أنت مخطىء، سأذهب وحدي.» لقد تحملت منه الكثير وتحملت ثقل دمه، وعدائه.

تقدم فيليب نحوها وأخذ يحدق بها مشدوهاً. كان ينظر إليها من فوق كتفه واقف على برج. «هل تعتقدين نفسك نكية إلى هذا الحد؟ إنها لفكرة غبية أن تذهبي وحدك، يا سنيوريتا ، بالإضافة إلى أني سأفعل، لأنني لن أرهق نفسي بالبحث عنك.»

كانت حتى هذه اللحظة تشك في قدرتها على الذهاب وحدها، ولكنها الآن سحقت بذرة الشك الباقية وقررت أن تذهب لمقابلة المحامي بمفردها.

من يظن نفسه ليكلمها هكذا! أنا أرفض. لن أسمح له بأن يملي علي أوامره.

لم يسمع ما قالت، وقال وهو في طريقه إلى خارج الغرفة: «لن نناقش هذا الأمر، سأمرّ عليك في الساعة التاسعة صباحاً، وعليك أن تكوني جاهزة. لا أحب أن أنتظر أحداً.»

أنهى كلامه وهو في الخارج وبعد لحظات سمعت صوت انطلاق سيارته. يا له من رجل، من يعتقد نفسه؟ لن تسمح له بعد الآن بالتدخل في شؤونها.

شريط من الذكريات مرّ في رأسها وهي ترتشف كأس عصير البرتقال عندما جلست في زاوية المقصف. فاعتراض فيليب على ذهابها وحدها أعطاها حماساً، ودفعها لتنفيذ مشروعها.

أوّل ما قامت به هو تفقد السيّارة الموجودة في المرآب سيارة من نوع المتسوبيتشي، بيضاء اللون، شكلها الخارجي يوحي بأنها شبه جديدة. ثم وجدت برميلاً صغيراً مليئاً بالبنزين، ومجموعة مفاتيح في علبة معلقة على الحائط.

عندما أدارت محرّك السيارة، شعرت بارتياح إذ أن صوت المحرك كان كصوت صفارة ناعمة يدل على أن السيارة بحالة جيدة جداً.

وجدت بعض خرائط الطرقات في جيب باب السيارة. حملتها وأسرعت إلى الداخل. وبدأت بدراسة الطريق الذي يوصلها إلى ترانك لاكان. لقد وجدت الطريق بسهولة إنما ما زالت هناك مشكلة. من أين ستحصل على عنوان المحامي؟

جاءها النادل بالطبق الذي طلبته، انفادوس، وهو طبق إسباني، عبارة عن نوع من المعجنات مع الجبن والخضر...

إبتسمت عندما فكرت بالطريقة التي حصلت فيها على عنوان كارينو... على كل حال فهي صحافية والبحث هو جزء من عملها.

ولكن لم يساعدها هذا كثيراً، وبعد أن خرج فيليب من البيت إستحمت ولبست ثوب حمام قطنياً. إستعدت لتأكل شيئاً، عندها سمعت طرقات على الباب. تأكدت من أنه ليس فيليب، لأنه لم يتصرف حتى الآن تصرفاً يدل على تهذيب أو أدب. لو كان الطارق فيليب لاقتلع الباب من مفاصله التي تثبته عوضاً عن أن يكلف نفسه عناء الطرق على الباب.

ترددت قبل أن تفتح الباب، والذي شجعها سماع صوت إمرأة تقول لها: «روزاريا، يا سنيوريتا!»

فتحت ليانا الباب ووجدت نفسها تقف أمام امرأة شابة، شعرها أسود وعيناها تبعثان الدفء والأمان. قدمت المرأة ما تحمله إلى ليانا، كان عبارة عن وعاء للطبخ، كان الوعاء ساخناً وملفوفاً بمنشفة. وشعرت بأن عشاءها قد وصل.

بعد نصف ساعة من المسامرة الضاحكة، إستطاعت وبمساعدة قاموس (انجليزي ـ إسباني) أن تتعرف على روزاريا، فهي زوجة أحد عمّال المزرعة، كانت تنظف وتطبخ للعمة غلوريا. وكانت حسب قولها، متشوقة لتؤدي نفس الخدمات إلى ليانا.

كانت ليانا قادرة على خدمة نفسها، ولكنها لم تمانع في أن تخدمها امرأة، لطيفة مثل روزاريا. ولكنها شرحت لها أن وجودها في المزرعة ليس طويلاً.

«كرازيا. كرازيا.» ليس مهماً. قالتها بالإسبانية، أبدت

روزاريا استعدادها لمساعدة ربة عملها الجديدة في أي شيء تحتاجه. وهكذا خطرت في بال ليانا فكرة سؤال روزاريا عن عنوان محامي عمتها غلوريا.

في البدء هزّت روزاريا رأسها قائلة: «لا.» جواباً على سؤال ليانا، ولكن عادت الإشراقة إلى وجهها بعد أن فكرت قليلاً، قالت لها شيئاً باللغة الإسبانية. وأسرعت ليانا إلى القاموس تفتش عن معنى الكلمات حتى فهمتها. «مكتب المحامي كارينو بقرب مكتب البريد!» ومن السهل جداً إيجاد هذا الأخير!

أصرّت روزاريا على أن تقضي الليلة في المزرعة، لا بدّ أنه فيليب، ولا بدّ أن يكون هو من أرسل هذه المرأة الساذجة لتراقبها. فهو بارع في استخدام الناس لتنفيذ مآربه.

ولكن، مع هذا كله فقد شعرت ليانا براحة لوجود روزاريا معها. شعرت بأمان، لأن هناك من سينام معها تحت سقف هذا البيت الواسع والغريب.

استلقت في سريرها تفكر بكليف. الرجل الذي تحبه، الرجل الذي يشعرها بالأمان، الرجل الذي ستقترن به بعد فترة. لا بد أنه مشغول البال عليها، لأنها لم تتصل به بعد، كانت مشتاقة إليه، ووعدت نفسها بالإتصال به، وتطمينه عنها في اليوم التالي من وصولها.

إبتسمت وهي تفكر بما ستخبره. عن رحلتها وعن الإرث المدهش وعن صراعها مع فيليب مانديز هذا الذي لا يحتمل. سوف تقلل من حديثها عن فيليب لأنه سيغضب لو عرف كم أساء هذا الشخص معاملتها.

غرقت في فراشها وغطت جسدها. ونكريات كليف تلاحقها وتنهشها. أما صورة فيليب فكانت تضايقها... استسلمت للنوم مع شريط من الذكريات الحلوة عن كليف.

لم يبق لديها سوى مشكلة الإتصال الهاتفي مع كليف، فهي لم تتصل به حين وصولها في الصباح [في مركز البريد وبعد أن استغرقت رحلتها ساعة ونصف الساعة، لأنه، وبفارق الوقت بين ترانك لاكان ولندن، يكون الوقت باكراً جداً. ويكون كليف ما زال نائماً في مثل ذلك الوقت.

لقد انقضى وقت طويل. انقضت ساعتان في الحصول على المعلومات من السنيور كارينو، محامي العمة غلوريا. بعد ذلك الوقت يكون مكتب المكالمات الهاتفية الدولية قد أقفل لفترة الغداء، ولن يفتح قبل الساعة الثانية بعد الظهر وهذا التوقيت يناسبها، لأنه في هذا الوقت تكون الساعة في لندن التاسعة صباحاً، وسيكون كليف في مكتبه.

إنتهت من تناول طعامها، وتناولت كوب عصير البرتقال لتشرب ما بقي فيه. لقد قامت بعمل جيد بمرورها على المحامي، قبل الإتصال بكليف. فقد كونت فكرة بعد اجتماعها مع المحامي وهي تريد مناقشة هذه الفكرة مع كليف.

ولكن، وبينما كان النادل يأخذ الصحون من أمامها، جمدت ليانا في مقعدها، فهي لم تصدق ما تراه عيناها!

هل يخدعها بصرها؟ هل من الممكن أن يكون هذا الشخص الطويل الضخم الذي يدفع باب المقصف بعنف، هو فيليب! مدمر حياتها؟

لا، لم يخدعها بصرها، إنه فيليب بعينه، كاد أن يوقع الصينية من يد النادل عندما مرّ بقربه بسرعة وبغضب ليقف أمام ليانا وعيناه تشتعلان غيظاً.

«أنت هنا إذن؟»

«نعم، أنا هنا.»

«تبدين مسرورة ومنتصرة، ربما تريدين مني تهنئة على ذلك؟»

«لا، بالطبع.» هل تبدو مسرورة؟ كانت ليانا دهشة لتعقبه أثرها ومعرفته مكانها. لقد دخل كالعاصفة متجهاً نحو طاولتها. كان على وشك أن يركل الطاولة ويمسكها بالوشاح الذي تضعه حول عنقها.

لكنه تمالك نفسه وتناول كرسياً مواجهاً لها وخاطبها بهدوء: «أرى أنك تعتقدين نفسك ذكية لتلعبي معي مثل هذه الألعاب السخيفة.»

كان صوته هادئاً ورزيناً، وبنفس النبرات أجابت ليانا: «ذكية؟ لا طبعاً. كانت الرحلة سهلة.» ثم أضافت: «وأنا بالفعل لم أكن ألعب أية لعبة، ولو كان هناك من لعبة، كن متأكداً أنك لن تكون الشخص الذي سألعب معه!»

لم يبتسم ولكن شيئاً لمع في عينيه، تمنت لو أنها لم تقل الجزء الأخير من كلامها. خافت أن يكون قد استنتج شيئاً من كلامها لم تكن تعنيه.

أصبحت نظراته أكثر قساوة فيما تراخى في جلسته وهو يقول. «لقد قلت لك بانني سآتي لأصطحبك في الساعة التاسعة صباحاً، لا تحاولي أن تقولي أنك نسيت هذه التفاصيل الصغيرة.»

«وأنا قلت لك بانني سآخذ السيارة وأقودها وحدي، أو أنك نسيت هذه التفاصيل الصغيرة؟»

أمعن النظر إليها مظهراً غضبه، كانت ليانا تتوقع أن يذكرها بأنه قد منعها من الذهاب وحدها. وهي سترد عليه لو فعل، بأن لا أحد قادراً على منعها من القيام بأي عمل سوى القانون وضميرها. وبالتأكيد لن يكون فيليب مانديز.

لم يكلف نفسه عناء تذكيرها فهو قد قرأ الرسالة في عينيها وعوضاً عن ذلك أشار إلى النادل الذي كان ما يزال يحوم حول المكان ليقدم إلى ليانا طلبها.

«قطعة لحم وخضر.» أمر النادل المسكين الذي هرع خائفاً لتحضير الطلب.

راقبته ليانا دون أن يشعر بنظراتها. كان هندامه اليوم أفضل بقليل من هندام الأمس. فهو يلبس سروالاً فاتح اللون وقميصاً أزرق وهذا على شرف مقابلة المحامي دون شك.

لقد قام بمهمة شاقة ولكن، قالت في نفسها، هذه المهمة باءت بالفشل.

بعد أن أنهى حديثه مع النادل إلتفت إليها ليكمل حديثه معها، وكأن حوارهما لم ينقطع لفترة...

«لا يحق لك أن تأخذي السيّارة وتذهبي وحدك هكذا.»

«ولِمَ لا؟ السيارة ملكي وأنا أحمل شهادة سوق سارية المفعول، كما أنّه هناك تأمين شامل على حياتي،» أجابت بهدوء. فهذه التفاصيل أخذتها من المحامي كارينو. «ولا أرى أيّ عائق يمنعني من الذهاب حيثما أشاء.»

«ليس هذا ما عنيت.» كانت نبراته تدل على نفاد صبره. «لقد وضعنا بعض الترتيبات، وكان نتيجة خرقك لها أنني

كنت مرغماً على إضاعة حوالي الساعتين في قيادة السيارة إلى هنا وساعة أخرى لأفتش عنك في طرقات البلدة كلها.»

كانت مسرورة لسماع هذا الكلام، «ولكن، لِمَ أزعجت نفسك؟ فأنا قادرة على تدبير أموري بنفسي.»

«وكيف لي أن أعرف هذا، هل تعتقدين بأنني من الذين يتمتعون بموهبة توارد الأفكار؟»

منعت ليانا نفسها من القول إن موهبة توارد الأفكار لا تعطى لأمثاله من البشر. رمقته بنظرة حادة. «وهل من الضروري أن تعرف كل شيء عن تحركاتي؟ أنت غير مسؤول عني، بالتأكيد لا.»

«ربما أنت على حق.» رماها بنظراته الداكنة. «أنت أولاً وآخراً ابنة أخت نعمة غلوريا، وأنت غريبة ووحيدة في هذه البلاد، وهذا ما يشعرني بالمسؤولية الملقاة على عاتقي.»

«ولكنني لا أوافقك الرأي.» اعتدلت على الكرسي عندما أشار إليها بأنها إبنة أخت غلوريا. إذن أبعد عن نفسه صلة القرابة بها، ولكن ذلك كان الشيء الوحيد الذي اتفقا، هما الإثنان عليه.

تابعت كلامها: «لا تعتبر نفسك مسؤولاً عني. فالمسؤول الوحيد عني هو أنا، فأنا قادرة وأستطيع الإهتمام بنفسي.»

أحضر النادل زجاجة الشراب التي كان فيليب قد طلبها، شرب فيليب جرعة منها. «كلمات بطولة.» إستند إلى الخلف في كرسيه وترك نظراته تتمعن في جسمها. «كلامك، بدون شك قريب من الواقع، وأنت، كامرأة شابة، تتميزين بكمال في مناطق مختلفة...»

صمت بينما تابع تأملها. إرتبكت وتوردت وجنتاها الدافئتان، ورجعت إلى الوراء في جلستها لتبعد المسافة بينه وبينها. تلك الملاحظات، بما تحملها من معانٍ عاطفية وقحة، جعلتها تنتبه لئلا يعتبرها الزبائن، في المقصف، متحابين يتهامسان عبر الطاولة.

أزعجتها هذه الصورة، وقالت بصوت رصين وبارد: «أكرر أنني قادرة على الإهتمام بنفسي.»

«لا شك في هذا، ولكن، في محيطك أنت، نحن هنا في الأرجنتين وسط الأدغال، يا سنيوريتا، ولسنا في حديقة هامبستيد.»

«أنا أعرف هذا!»

«إذن تصرفي بطريقة صحيحة.»

اقتربت منه وهمست: «لا تقل لي كيف أتصرف! فأنا واعية لهذا الأمر! لقد كنت مسؤولة وواعية عندما قطعت الرحلة الطويلة إلى هذا المكان.»

ثم عادت في جلستها إلى الوراء، في محاولة لإعادة السيطرة على نفسها، ولاستعادة برودة أعصابها. لماذا تحتاج جهداً لتتصرف وكأنها لا تهتم له. لن تدعه يعبث بمشاعرها.

تابعت حديثها: «عندي خرائط، وكثير من الماء وصفيحة بترول. لم أكن غبية لأنطلق دون أن أتدبر أموري، أما بالنسبة لك، فأنا أدين لك باعتذار لأنني أرهقتك بالبحث عني.»

إستطاعت ليانا أن ترى مسحة من المرح على شفتيه وكذلك لمستها في نبرات صوته. «ولكن هذا لا يرضيني،

نستطيع أن نضيف هذا التصرف إلى قائمة التصرفات التي تقومين بها.»

في هذه اللحظة، جاء النادل يجلب ما طلبه فيليب من اللحم والخضر. لم يكن نضوج قطعة اللحم كافياً. نظرت ليانا إليه، ومن ثم إلى الطبق أمامه. هل يحب رؤية منظر الدّم؟ ألهذا يحب تعذيبها وإيذاءها؟ ولكنه غير قادر على جعلها تنزف. فسوء معاملته لن تجرحها.

كانت وكأنها تؤدي دوراً في مسرحية. التقطت الشوكة والسكين، قطعت قطعة لحم، لقد كانت لذيذة. والحشوة كانت عبارة عن سبانخ وبيض وبصل. إبتسمت ولم تقاوم التحدث إليه. «إنه طعام لذيذ من الصعب أن تجده في حدائق هامبستيد.»

أجاب بابتسامة وحركة من رأسه، ثم انكب على قطعة اللحم. «في هذه الحال، تمتعي الآن بهذا الطعام لأنه من الممكن أن لا تكون هناك فرصة أخرى. لأنك ستغادرين إلى لندن بعد بضعة أيام.»

جاءت كلماته وكأنها تتحداها، أدارت وجهها عنه، فقد كانت قد بدأت بتكوين فكرة حسنة عنه، غيّرتها كلماته القاسية الأخيرة.

ألقت شوكتها على الطاولة ونظرت إلى ساعتها. «ذلك يذكرني...» أعادت نظرها إلى فيليب. «بعد الإنتهاء من تناول غدائي عليّ أن أذهب إلى مركز البريد، يجب أن أجري مكالمة هاتفية مع لندن.»

فابتسم لها: «سأرافقك. سأكون مسروراً، لأنك ستخابرين خطيبك وستبلغينه بموعد عودتك إلى لندن.»

إنفجرت بغضب وقالت: «يمكنك مرافقتي، ولكني أحذرك...» توقفت عن الكلام لتحكم عقلها بما هي مقدمة على قوله، مع أنها كانت واثقة من أن لا شيء على الإطلاق يستطيع منعها.

«إنّ الهدف من إتصالي بخطيبي ليس كما تظن، لا لأخبره بموعد عودتي.»

تابعت ليانا كلامها، بينما كان فيليب يتأملها: «العكس هو الصحيح، سأكلم خطيبي لأقول له أنني سأبقى في الدوتادو حتى أجد الطريقة التي أحفظ بها إرثي.»

إبتسمت والفرح يملأ قلبها وهي تراقبه عبر الطاولة وقد جمد في مكانه كالحجر... «لأحاربك، عليّ أن أبقى هنا...!»

الفصل الرابع

كانت ليانا تنتظر ردة فعل قاسية من فيليب، أو نوعاً من التهديد، ولكن خاب أملها عندما هزّ رأسه ببساطة وقال: «سأرى.» قالها بصوت خافت دون أن يلتفت نحوها.

إنه رجل غامض، بلا ريب. راقبته وهو يلتهم قطعة اللحم، كان كليف، على عكس فيليب، رجلاً واضحاً يشعرها بالأمان والطمأنينة، وهذا هو نوع الرجال الذي تحبه، ولكن هذا المخلوق المتوحش والغامض الذي يجلس أمامها لا يروق لها أبداً. عندما تكون معه تشعر بأن حواسها متيقظة وحذرة. ولم تشعر أبداً براحة بقربه، إنها لا تعرف معنى لتهديده الدائم لها.

أكملا جلستهما بحديث مهذب، ولكن لا معنى له، عن المثلجات والقهوة السوداء، ثم غادرا المطعم دون أن تعارض إصطحابه لها إلى مكتب الهاتف لتجري اتصالها مع خطيبها.

انتظرها لتنهي حديثها مع كليف، ثم قال: «إن لم تكن لديك أعمال أخرى في البلدة، فمن الأفضل أن نتجه معاً إلى الدوتادو.»

«معاً!» لفتت نظرها هذه الكلمة. «أنا قادرة على العودة وحدي! فاذهب وحدك إن كنت في عجلة من أمرك!»

«أعتقد بأن عليك أن تأتي معي.» قالها وقد نفد صبره. «سيحل الظلام بعد حوالي الساعتين. أعرف أنك جئت وحدك

في الصباح، ولكن نجاحك في القيام برحلة العودة في الظلام أمر صعب وغير مؤكد.»

لم تفكر في ذلك الأمر. أغاظها كلامه مع أنها كانت تعرف أنه على حق.

هزّت كتفيها استهجاناً، ولكنها قالت موافقة: «حسناً، سأعود معك. فقد أنهيت أعمالي هنا.»

«سأقود السيارة أمامك، وستلحقين بي.» أسرتها عيناه. كانت هناك ابتسامة ساخرة مرسومة على شفتيه. «أو العكس، أنت أمامي وأنا أتبعك.»

أدارت وجهها. «أنت في المقدمة، وأنا أتبعك.» ثم حاولت أن تجد عذراً لتؤكد مساواة المرأة مع الرجل. «هذا لأنك تعرف المنطقة أكثر مني.»

قادت السيارة منطلقة وراءه في طريقها نحو البيت، عبر مناظر الأدغال الخلابة، كانت تتساءل متعجبة، ما الذي أبقاها في الدوتادو؟

هل هذا المكان جحيم متنكر بمناظر خلابة؟ هل ما يزال فيليب يشتعل غضباً؟ ربما هو يتحين الفرصة الآن ليختلي بها، ويمسكها من رقبتها ويفجرّ غضبه في وجهها.

ولكن حتى هذا، لن يغير الأمر ولن يثنيها عن قرارها. بهذا فكرت ليانا، وقد تأكدت من شعورها هذا بعد مكالمتها مع كليف، فقد أعطاها دعماً وعزماً بعد أن كانت تعتقد بأنه سيحزن عندما يعرف أنها لن تعود في الحال إلى لندن.

قال كليف عندما أخبرته بتغيير خطتها، «نفذي مشروعك من دون تردد، فأنت صاحبة القرار في مثل هذا الموقف.»

«لن أبقى لحظة واحدة أكثر مما أحتاج من الوقت.» فقد

أثار صوته الدافىء والحنون مشاعرها، إنه رجل بالفعل، قادر دائماً على دعمها وحمايتها. «سأعود إلى لندن بمجرد إنتهائي،» كما وعدته. فهي لم تهدد فيليب بالبقاء، ولكن همها كان إنجاز أعمالها بسرعة قدر الإمكان.

ضحك كليف وذكرها: «تمتعي بأشعة الشمس الدافئة، فالجو هنا بارد جداً، لقد سجل أن شهر كانون الثاني - يناير هذا، هو من أبرد الأشهر التي مرّت خلال أعوام. على أية حال، فأنت في منطقة أفضل من هنا من حيث الجو.»

ثم أضاف بصوت ينم عن ثقة وإطمئنان: «اعلميني فوراً، لو تعرضت لأية مشاكل. عديني بأنك ستتصلين بي لو تعرض لك أبن خالك، أو سبب لك أيّ إزعاج.»

قالت مؤكدة: «أعدك. ولكن لا تشغل بالك، سأكون بخير، فما هو إلاّ رجل عنيد، ولكنه لا يشكل أيّ خطر عليّ.»

كانت تسير وراء فيليب وعيناها تنظران إلى مؤخرة سيارة الرانج روفر. لقد سُرّت عندما قرأت لافتة تشير إلى أنهم على بعد كيلو مترين من الدوتادو.

مرّت دقائق ثم انعطفت الرانج روفر وسارت في طريق فرعية إلى الدوتادو. شعرت ليانا أن معدتها تتقلص بعصبية. ماذا سيحدث الآن؟ تساءلت: هل ستقابل بركاناً ثائراً؟

سارا بقرب بعضهما البعض، حتى وصولهما إلى المزرعة... وما أن ترجلت ليانا من السيارة حتى خاطبها فيليب.

«شراب بارد الآن يريحني، إن لم يكن لديك إعتراض، لا مانع لدي لأن أتعرف إلى نموذج من نماذج حسن ضيافتك.»

«حسناً،» كانت تتوقع ذهابه في اتجاه بيته حال وصولهما.

ثم قالت: «بالتأكيد لو كنت عطشاناً، أعتقد أنني، بتقديم كوب بارد من الشراب، قد أعوض أو أمحو مسحة الإنزعاج والتعب اللذين سببتهما لك اليوم.»

«أوافق على هذا.» ابتسم ابتسامة غامضة. «وبالإضافة إلى ذلك أشعر أننا بحاجة إلى قليل من الثرثرة.»

لم تجب ليانا واتجهت نحو الباب. كانت على حق حين فكرّت بأنه يريد أن يختلي بها.

كان ثمة مفاجأة سارة في انتظارها. فما ان خطت إلى داخل القاعة، حتى ظهرت روزاريا أمامها مبتسمة.

«سنيوريتا، سنيور.»

تعانقتا بحرارة، ثم تكلمت بالإسبانية، فهم فيليب وأجابها قبل أن يلتفت نحو ليانا بابتسامته المعهودة. وقال لها: «إننا مدعوان لشرب الشاي الإنجليزي في القاعة الكبرى. يجب أن أعترف بأنه تقدم حضاريّ.»

شعرت ليانا بالإطمئنان لوجود روزاريا، فهو حتماً سيسيطر على ثورته. أيّة ثورة تتوهمها؟ لم تلمح في عينيه شرارة غضب تؤكد زعمها. هل هو من استدعى روزاريا؟ لم يكن ينوي الإختلاء بها إذن؟

جلس على الأريكة دون أن ينتظر دعوة من أحد، مدّ رجليه ووضع قدماً فوق الأخرى. ورمقته ليانا باستياء. لماذا يريدها دائماً أن تشعر بأن البيت ملكه؟ ولكنه تجاهل نظراتها إليه وقال: «كيف كانت مقابلتك مع كارينو؟ هل أخبرك بكل ما تريدين معرفته؟»

جلست ليانا على الكرسي المواجهة للأريكة، مسترخية في جلستها، وقالت: «كانت مقابلتي مع السنيور كارينو مرضية.»

«جيد، ولكن هناك شيء أثار تساؤلي. إنني أعترف...» صمت ثم رفع أحد حاجبيه السوداوين وتابع: «لا أرى أي سبب لبقائك هنا بعد أن شرح لك كارينو كل ما تريدين معرفته عن الوصية والإرث.»

نظرت إليه ليانا وأجابته: «لا معنى لسؤالك هذا، فأنا قد أخبرتك سابقاً عن السبب الذي يدعوني للبقاء هنا.»

ابتسم وقال: «لتقومي بخطوات تساعدك على المحافظة على الإرث؟ ولكن هذا مستحيل، يا سنيوريتا، إلا إذا كنت قد قررت المكوث هنا بشكل دائم!»

أبعدت ليانا هذه الأفكار السخيفة عنها. «سأبقى حتى أجد طريقة ما لحلّ هذه الأمور.» كانت قد حددت إقامتها مدة أسبوع أو أسبوعين على الأكثر، ولقد قالت هذا لكليف. من المؤكد إيجاد حل لأنها لن تتحمل البقاء مدة أطول.

بدا وكأنه يقرأ أفكارها. «ماذا عن عملك؟ ليس من الحكمة أن تتركي مهنتك كصحافية لتركضي وراء هدف لن يتحقق.»

«أرجوك أن لا تشغل بالك! مهنتي لا تشكل لي أي عائق.» قالت هذا وهي تعلم أن هذه المهنة مهمة بالنسبة لها. «أعمل... أعمل بشكل حرّ مع عدة مجلات، أستطيع التغيّب متى شئت فليس ثمة دوام محدد لديّ.»

أوقفت شرحها عن مهنتها. لأنه لم يكن مهتماً ليسمع كل التفاصيل. كان منصباً بكل تفكيره على كيفية الحصول على الخمسة آلاف فدان.

«تستطعين أن تجمعي معلومات عن الأرجنتين خلال فترة إقامتك هنا، وهكذا لن تهدري وقتك.»

رفعت رأسها نحوه ونظرت إليه بكبرياء: «هذا بالضبط ما سأفعله. من الممكن أن أجمع معلومات عن موضوع معين ـ كما قلت ـ ولكن هذا لا يمنعني من القيام بالخطوات التي تساعدني في حماية إرثي.

«لا يمكنك عمل هذا.»

«هذا هو اعتقادك الخاطىء.»

«هل أخبرك كارينو غير ما أخبرتك به؟ فهو لم يكن ليرشدك إلى الطريق الصحيح، فشروط تياغلوريا صعبة جداً.»

قالت له ليانا بسخرية: «تبدو دائماً واثقاً من نفسك.» لقد قال كارينو انه من الممكن أن نجد حلاً، وهذا شيء لم تخبر فيليب به.

رمقته بنظرات تساؤل. «لم أكن أعرف أنك محام.» قالتها وكأنها تشك في حقيقة ما. «لم تكن لديّ فكرة عن خبرتك بمثل هذه الأمور.»

ابتسم ببساطة لدعابتها هذه «أنا لست بمحام، إنني صريح جداً، ولست مؤهلاً لتلك المهنة التي تتطلب كذباً.»

إنفجرت ليانا ضاحكة، وشاركها فيليب بالضحك. شعرت بشيء يسري في داخلها وخصوصاً عندما التقت عيناها بعينيه...

تابع وهو يبتسم مسروراً: «على كل حال، ليس من الضروري أن يكون المرء محامياً ليعرف بأنك تخططين لشيء ما.» رفع منكبيه العريضين وتابع: «في النهاية

سنعرف النتيجة، لقد أعطاك كارينو مبلغاً من المال وزودك بالمعلومات، وجعلك غير واثقة من كلامي وترفضين كل فكرة أقولها لك.»

ابتسمت بشجاعة: «لا، لن أرفض أفكارك وإرشاداتك. الذي أرفضه حقاً هو الفشل في مواجهتك.»

«إذن أنت تستمتعين بالمعركة، بالمبارزة.» رقصت عيناه لفكره التحدي هذه. «حسناً، فأنا أستمتع مثلك بالمبارزة، خصوصاً معك.»

أحست ليانا بالدفء ينبعث من وجنتيها. التحدي ليس هو الشيء الذي كانت تبحث عنه، ولكنها الآن أمام واقع لا تستطيع الهروب منه. إنها الآن تنتظر مبارزة بالسيف بينها وبينه. تجربة جديدة جعلت دمها يتدفق، ليورّد وجنتيها، أوقفت ليانا التفكير بتلك الأمور لأنها شعرت فجأة بتعب، كانت مرتبكة ومنفعلة.

إبتسم فيليب لرؤيتها مرتبكة. «تابعي، وحاربي. اهدري وقتك ومالك، إن كان هذا ما تريدين، أليس كذلك؟

رمقته ليانا بنظرة تأنيب. «لن أهدر أياً منها، ولكنني سأوجهها بشكل مثمر.»

«طبعاً، فقد عملت جاهدة للحصول على هذا الإرث، فكيف ستسمحين بوضع يدي عليه؟» ضحك فيليب ضحكة ساخرة. «سنرى! يا سنيوريتا!»

في هذه اللحظة الحاسمة، ظهرت روزاريا، تدفع أمامها عربة عليها إبريق شاي فضي مع وعاء مملوء بالكريم، وآخر بالسكر مع بعض الشطائر في صحن وقطع من الحلوى الطازجة في صحن آخر.

وقف فيليب ليفسح لروزاريا مجالاً كي تضع عربة الشاي أمام الأريكة التي يجلس عليها. «رائع!» قالها لروزاريا التي ابتسمت لهذا الإطراء.

راقبت ليانا تصرفات فيليب اللبقة بدهشة. يا له من إنسان غريب الأطوار. فهو قادر على إدارة تصرفاته كما يدير صنبور ماء. فها هو ذا الآن يتصرف بلباقة ولطف وتهذيب. دون أن يبذل أيّ جهد، يتحول إلى امرىء تصرفاته طبيعية وغير مصطنعة.

إنه يتحلى، من وقت لآخر، بشيء من الإتزان ورباطة جأش، تزيدان شكله الخارجي قوة وجانبية، ولكن، وللأسف، فإنه يستعمل هذه القوة ويوجهها بشكل أناني. يستعملها كأداة يشبع بها طمعه وجشعه.

وتذكرت ليانا كلام المحامي كارينو. فلا بد أن العمّة غلوريا كانت قد تأثرت بهذه الجاذبية. ولا عجب في أن تنخدع امرأة عجوز مثلها.

إنصرفت روزاريا، وأخذ، كل منهما كوباً من الشاي مع شطيرتين وقطع من الحلوى. قضمت ليانا شطيرتها وهي تنظر إلى فيليب. تريد إخباره بأنها تعرف كل شيء عنه.

جلست ليانا على كرسيها وبدأت بالحديث: «كان السنيور كارينو يخبرني عن العمة غلوريا.»

«آه حقاً؟» حرّك فيليب الملعقة في كوبه ليذيب السكر ولم يلتفت نحوها. «وماذا أخبرك؟ أخبار هامة؟»

وضعت ليانا قطعة الشطيرة ببطء، ثم أخذت جرعة من الشاي. فكرت بالأمور المهمة التي قالها المحامي، ثم وضعت كوب الشاي من يدها.

وقالت: «أخبرني عن الدوتادو وكيف بنتها العمة غلوريا وزوجها من لا شيء.»

«هذا صحيح، فعندما اشتريا الأرض، منذ أربعين سنة، كانت جرداء، وغير مزروعة.»

«والآن تعتبر من أكثر الأراضي المنتجة في هذه المنطقة.»

«والأكثر ربحاً.» ابتسم فيليب بسخرية. «وهذا بالطبع لم تعلمي به من قبل.»

«كلا، وكما أخبرتك، لم أكن أعلم بأن المزرعة موجودة قبل وصولي إلى هنا.»

حرّك فيليب أصابعه، وكأنه تذكر شيئاً. «هذا صحيح، لقد نسيت، فكل شيء كان مفاجئاً.»

نظرت إليه وكأنها تتهمه: «نعم، كان مفاجئاً. ولكنك كنت تعرف قيمة كل متر من الأرض! ألم تكن تعرف؟»

«تقريباً، بضعة قروش.» لم يكذب عليها. وجلس على الأريكة، متكئاً على الوسائد، ينظر إليها بعينيه السوداوين الداكنتين. «وبم تفيدك هذه المعلومات؟»

نظرت ليانا إليه ببساطة، وفكرت بالرّد عليه. ولكنها فضلت أن تتركه ينتظر ويتساءل. لتكن الكرةُ بيدها ولو لمرّة واحدة.

قضمت قطعة من الشطيرة، ومضغتها بصمت، ثم توجهت بنظرها نحو فيليب. «لقد أخبرني السنيور كارينو بأن العمة غلوريا أشرفت بنفسها على أعمال المزرعة بعد موت زوجها. وذلك عمل شاق بالنسبة لإمرأة في مثل سنها.»

«كان لديها مساعدون.»

«أتعني عمال المزرعة؟»

«نعم، أعني عمال المزرعة.»

«ولكنها كانت تقوم بأعمال المحاسبة، بالإضافة إلى اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون المزرعة. إنه عمل شاق لامرأة مثلها!»

«لقد كانت امرأة قادرة، كرّست حياتها لـ الدوتادو ولم أسمعها في حياتي تحتج أو تتأفف من أي عمل.»

مرّت لحظات صمت. أخذت ليانا شطيرة أخرى وهي تنظر في عينيه، وتفكر في المقدمة الجيدة التي تستطيع أن تبدأ بها حديثاً عما يدور في ذهنها.

إبتسمت ابتسامة ناعمة. «من المدهش أنك لم تسمع احتجاج أو تأفف العمة غلوريا.»

«وماذا يعني قولك هذا؟»

رفعت ليانا كتفها وقالت: «يعني بالضبط ما قلته لك. صحح لي لو كنت مخطئة، فقد فهمت من السنيور كارينو أنك لم تكلف نفسك عناء الوقوف على قدميك طيلة العشر سنوات الأخيرة، والتي كانت العمة غلوريا تحمل فيها عبء العمل وحدها. وقد سنحت لك الفرصة حين سقطت العمة غلوريا طريحة الفراش لمدة سنتين.»

ضاقت عيناها وهي تتأمله. «هل تنكر ذلك؟ لماذا؟ إنك وقفت عند بابها في المدة الأخيرة، ومثلت دور الرجل الصالح عندما عرفت أنها تشارف على الموت!» فجأة لم تعد ليانا قادرة على البلع. رمت الشطيرة من يدها، فقد استقر غضبها كالحجر في حلقها.

www.elromancia.com

«لقد اتهمتني بالتخطيط للإستيلاء على الأملاك، والحقيقة هي، أنك شخص جدير بالإزدراء وعليك أن تشعر بالذنب، وبتأنيب الضمير.»

كان قلبها يخفق بسرعة لشعورها بالغضب والحنق، إذ من المخجل أن يحمل وحش كهذا اسم عائلة والدتها. بدا فيليب غير مبال بثورتها، وبهدوء تناول كوب الشاي وملأ فمه. ثم قال بنبرات ساخرة: «هل تعتقدين أنني لم أحسن التصرف؟ هل من الجائز أن أتركها وحدها في تلك الأزمة؟ لو لم أفعل ذلك لما كنت الآن تتهمينني بالتخطيط للإستيلاء على الأراضي ولا حتى بتأنيب الضمير!»

فضحكت ليانا: «تأنيب الضمير، أنا أشك في أن يكون عندك ضمير.»

ابتسم يغيظها. «ربما أنت على حق وهذا ما يفسر فشلك في إزعاجي.»

نظرت إليه ليانا مرة أخرى، وجدته ثائراً، قاسياً وغير مبالٍ. إنها صفات بعيدة كل البعد عن الصفات الإنسانية.

لم تبذل جهداً لإخفاء غضبها وقالت بصراحة: «لو كنت تعتبر نفسك ابن أخ محب للعمة غلوريا لكنت قمت بزيارتها ومساعدتها في إدارة شؤون المزرعة بعد وفاة زوجها، أو قبل ذلك. ولكنك انتظرت وفاتها لتنقض كالنسر الجشع وتقتنص الأرض والأملاك و...»

«مثلك تماماً، هل هذا ما تعنين؟ على الأقل كوني صادقة. فالمؤكد أنه كان هناك نسران جشعان ينتظران قرب فراشها؟»

«لا، لا، واحد فقط. لم أكن أنتظر كسب أي شيء، وكما

قلت لك سابقاً لم أكن أعلم أنها كانت تصارع الموت، وكذلك لم أعلم أنها امرأة ثرية.»

هزّ فيليب رأسه، ولم يناقش الأمر. لم يكن هناك أيّ داعٍ لذلك. كان وجهها واضحاً في التعبير عن كذبها.

تناول قطعة من الحلوى وأخذ يمضغها وهو يفكر. تأملها وقال: «هكذا إذن. ما الذي يزعجك؟ هل أزعجك تصرفي غير اللائق؟ هل أزعجك تخطيطي للحصول على الأراضي؟ ألا أستحق أن أرث الدوتادو. إنني الآن لا أملك حتى النصف، ولكن القضية ستظهر أكثر عندما أحصل على حصتك وأمتلك العشرة آلاف فدانٍ.»

صمت لحظة ثم تابع: «هل أنا على حق، وهل هذا الكلام يحسم الموقف؟»

أومأت ليانا برأسها. «على أية حال، عليّ أن أذكرك بأنك لا ولن تستولي على الخمسة آلاف فدانٍ التي تخصني.» نظرت إليه وتأملته. «عليك أن تعرف،» تابعت مفسرة حديثها: «إنني أكره النّاس الذين يحاولون استغلال غيرهم.»

لقد زرعت فكرة محاربته في رأسها، مما أعطاها هذا شعوراً بالقوة. كانت تفكر أحياناً بأن فكرة انتقال ملكية المزرعة كلّها إلى فيليب، ليست سيئة. على الأقل هو قادر على إدارة شؤون المزرعة أكثر منها، ورغم كرهها له، لم تجد شخصاً غيره يستحق أن يرث المزرعة.

ولكنها عندما علمت من السنيور كارينو أن ارتباط فيليب بالمزرعة وبالعمة غلوريا بدأ فقط عندما أصبحت الأخيرة طريحة الفراش، أبعدت تلك الفكرة عن إمكانية

التحقيق. لقد كسب أكثر مما يستحق خلال السنتين الماضيتين أما الآن فقد قرّرت ليانا أن تستخدم جميع الوسائل لتمنعه من الإستفادة من أموال المزرعة.

راقبته وهو يلتهم قطعة الحلوى ويمد يده ليأخذ قطعة أخرى، ثم نظر إليها وسألها: «إذن، فقرارك أنني لا أستحق أن أرث.» ابتسم وهو يتابع التهام قطعة الحلوى. «ربما تستطيعين الآن إعطائي مبرراً يجعلك تستحقين امتلاك إرث العمة غلوريا؟»

«بعد كل هذا.» تابع عندما تأخرت ليانا عن الإجابة: «ولو أن الوقت جاء متأخراً، فقد قمت بعمل مفيد خلال حياة العمة غلوريا، ولكنك وعلى ما أذكر، لم تقابليها أو تريها قبل وفاتها.»

كانت تحترس في إجاباتها، لذلك كانت تظهر مترددة في أكثر الأحيان. لم تكن المرّة الأولى التي تفكر فيها ليانا، وبتعجب، بالسبب الذي دعا العمة غلوريا لتترك لها كل هذا الإرث وهي التي لم ترها أو تقابلها في حياتها. وهي التي كانت تعيش في لندن ولا تعرف عن إدارة المزارع أكثر مما تعرف الهرّة عن العزف على البيانو.

فقد وصلت إلى استنتاجين بعد تفكيرها هذا. قالت الأول لفيليب: «أعتقد أن العمة غلوريا أحبتني من خلال مراسلاتي لها في السنة الماضية، وأنا أيضاً أحببتها كثيراً، ونشأت بيننا صداقة حميمة.»

اتكأت إلى الوراء في جلستها، ووضعت ساقاً فوق أخرى. «لن أوحي إليك الآن بانني أنا من يستحق أن يرث المزرعة، ولكنني أعتقد أن العمة غلوريا قدمت لي هذا الإرث كعربون محبة وصداقة.»

نظر فيليب إليها وعيناه الداكنتان تطرفان بسرعة. «كما أشرت من قبل، رسائلك كانت مؤثرة جداً!»

«كانت تعكس شعوري وأحاسيسي.»

شعرت بغضبه وهي تجيبه. لم تر ليانا أي داع لزيادة كلمات أخرى على كلامها هذا. فهو لن يفهم ماذا عنت لها مراسلاتها مع العمة غلوريا وخصوصاً بعد وفاة والدتها. لقد بدأت العلاقة كصلة بامرأة عرفت والدتها خلال طفولتها، ولكن هذه العلاقة تطورت وأصبحت أكثر عمقاً ودفئاً.

«ومع هذا كله.» أشارت وهي تنظر في عينيه الغاضبتين. «أعتقد أن العمة غلوريا كان لديها سبب آخر لتشملني في وصيتها.»

«كنت على وشك أن أسألك عن هذا، لأنك قلت ان لديك استنتاجاً آخر.» جلس فيليب مسترخياً على الأريكة يمضغ قطعة الحلوى دون أن يشعرها بأنه مهتم بما تقوله وتبوح به، قررت ليانا أن تكون قاسية لا ترحم، قررت أن تطلق عليه النار وتصيبه بين عينيه، فقالت له متهجمة: «بعد كل هذا الذي أستطيع تأكيده لك، إن العمة غلوريا كانت بعيدة كل البعد عن الغباء...»

«طبعاً كانت بعيدة عن الغباء، فقد كانت امرأة ذكية.»

«كما كنت أقول...»

هذا الإنفعال لم يكن ضرورياً، لعله استنتج ما كانت تنوي قوله فحاول إيقافها.

ولكنه أصبح الآن متأكداً من الإستنتاج الأخير لذا عاد وشجعها لمتابعة حديثها: «أرجوك، تابعي.»

اعتدلت ليانا في جلستها وحدقت به. «كما كنت أقول،

وهذا اعتقادي، ربما اتفقنا على أن العمة غلوريا لم تكن غبية فقد قامت بمحاولة لتضييق طمعك المتزايد، ولكي لا ينتهي بك بإبتلاع المزرعة كلها.»

خلال لحظة صمت، ابتلع فيليب ما بقي من قطعة الحلوى. «إنه استنتاج رائع. من يدري؟ ربما يكون صحيحاً!»

«أعتقد أن في ذلك شيئاً من العمة!» كان قادراً على أن لا يرف له جفن واحدٌ، مهما جارت عليه. «وهكذا تربي...» تابعت كلامها بإنزعاج: «فأنا سأحاربك ولن أدعك تنال النصف الثاني من المزرعة مهما كلفني الأمر من جهد وعناء وتعب.»

ابتسم لكلامها. «هذا لن يجدي. وسيجعلك غير مسؤولة. لأن عملك هنا ليس فقط معارضتي ومحاربتي!»

فكرت بقوله للحظة. باختصار، ستضع يدها على هذا الإرث وعلى هذا العرش، فقد حان الوقت لتدير الدفة بنفسها، ولكنه، وبطريقة ما، يجردها دائماً من قوتها، ويجعلها غير قادرة على التحرك خطوة واحدة إلى الأمام.

حدقت ليانا في وجهه، بملامحه التي توحي دائماً بالقوة. وفجأة شعرت بأنه يستشف ماذا تفكر به بالضبط. تابع كلامه ليثبت لها أنها كانت على حق: «أرى من خلال نظراتك الحيرى أنك غير قادرة على التغلب عليّ. هل خاب أملك، يا سنيوريتا؟»

«خاب أملي؟ كلا، إنه شيء مثير، هذا كل ما في الأمر.» ابتسم قائلاً: «أنا أيضاً لم أحسن تكوين صورة عنك.» واجه

نظراتها وتابع: «تكوين صورة عن كل منا، إنه عمل مسلٍ.»

«أشك في ذلك.» أبعدت نظراتها عنه، ولكن كانت نظراته قد جعلت قلبها يخفق بسرعة. تلك النظرات، بما تحفل به من وعد وغموض، حركت شيئاً خفياً في داخلها.

أدارت وجهها محاولة إبعاد هذا الشعور الخفيّ عنها، وبالطريقة نفسها غيّر فيليب الموضوع قائلاً: «هل أخبرك كارينو عن الرسالة؟»

«الرسالة؟» في هذه اللحظة نظرت ليانا إليه مشدوهة، ثم تذكرت، لقد أراها المحامي ظرفاً أبيض قبل مغادرتها المكتب!

قال لها كارينو: «لقد تركت عمتك هذا أيضاً، ليس لديّ أية فكرة عن محتوياتها، ولكنها كانت قد طلبت مني أن يبقى المظروف في خزانتي ليحين موعد زواجك. عندها أستطيع أن أسلمه لك، كانت حازمة في هذا الشأن، وهو أن لا تحصلي عليه إلا بعد زواجك.»

نظرت ليانا إلى فيليب. «هل تعرف شيئاً عن الرسالة؟» كانت نبرات صوتها تميل إلى النقد القاسي، ولكن هذا ليس من شأنه.

«لا أعرف شيئاً عن محتويات الرسالة. أعرف فقط بوجودها، وأن موعد تسليمها لك هو يوم زفافك...» توقف لبرهة ونظر في عينيها عبر طاولة الشاي. «لن تنتظري طويلاً دون شك.»

هذا أيضاً ليس من شأنه، فكرت ليانا. نظرت إليه ببرود. «لا تتدخل بما لا يعنيك، أما بالنسبة لي فساكبت فضولي حتى يحين الوقت المناسب.»

تابع تفحصها بنظراته باهتمام، وكأنها شيء على مشرحة تحت المجهر، ثم قال: «لا بدّ أن خطيبك أصيب بخيبة أمل عندما عرف أنك ستمكثين هنا لبعض الوقت. فتاة مثلك...» أبعد نظره عنها. «لا بد أنه سيفتقدك؟»

لم ترغب ليانا أن يتطرق فيليب إلى موضوعها مع كليف. لماذا شعرت هكذا؟ لكنها أحست بأنه نوع من التطفل.

«أنا أيضاً سأشتاق إليه،» قالت ذلك بنبرات قاسية.

«حسناً، خسارته تعني ربحي أنا.»

رفعت حاجبيها مشدوهة «ربحك؟ كيف؟»

«أنا أميل إلى صحبة الفتيات الجميلات وأنت، كما تعرفين امرأة جميلة.»

يا له من إطراء وقح! «ولكن ما أنا وبالتحديد، إلا عدوة لك.»

«كما قلت سابقاً سأتمتع بالتعرف إليك، قلت لتوي إن خسارة كليف هي ربح لي.»

اقترب منها وهو يحادثها حتى كادت أصابعه تلامس خديها، كان تأثيره كصدمة كهربائية سرت في جسدها، نظرت إليه مذهولة، لم تعد تقوى على الحركة، شعور مغاير وغريب سرى فجأة في داخلها.

راقبت شفتيه وهما تتحركان، لم تعد تسمع كلامه، كل ما كانت تدركه، أنها أصبحت مهيأة لترمي بنفسها في أحضانه.

ولكن سرعان ما داهمها شعور بالخطر، ما هذا الجنون الذي سيطر عليها؟ ما الذي يحدث لها؟ وقفت بعصبية وأبعدت يده عنها.

«اتركني وحدي! ما الذي تفكر به؟ كيف تجرؤ أن تلمسني؟»

ثم أدارت ظهرها وهرعت لمغادرة الغرفة وكأنها تهرب من لهاث وحشٍ.

ما هو إلا وحش، قالت ذلك لنفسها غاضبة، وهي تصعد نحو غرفتها. كان هناك شيء آخر، وليس فيليب وحده الذي أخافها، بل نفسها هي أيضاً. لقد أشعل بداخلها شعور خوف وإثارة، لقد شعرت وكأن بداخلها لهيباً يلتهم أحشاءها!

www.elromancia.com

الفصل الخامس

بعدما انصرف فيليب في تلك الليلة، جلست ليانا على الشرفة تحاول أن تستجمع قواها.

خطر! لا يوجد خطر! قالتها بحزم وهي تراقب غروب الشمس عند الأفق، أسوأ ما يمكن حدوثه، هو أن يربح فيليب، وتخسر هي نصيبها من المزرعة والبيت، وتعود إلى لندن صفر اليدين...

ولكنها، حتى ولو حدث ذلك، تستطيع أن تعيش كما كانت. ابتسمت وتنهدت مسترخية في جلستها على الكرسي الهزّاز، ثم شربت جرعة من كأس عصير الفاكهة. لقد عاشت بسعادة طوال أربعة وعشرين عاماً دون مشاكل هذا الإرث، وستتابع حياتها كالسابق دون أية متاعب. وستبقى لها اهتماماتها السابقة. بيتها وعملها وخطيبها، كليف.

تجهم وجهها في لحظة تفكيرها بكليف وكيف علل فيليب خسارة كليف بربح له. لم تكن تعرف عم يتكلم، ولكنها كلما فكرت بالأمر، أصبح واضحاً أمامها الهدف من مغازلتها.

أراد فيليب أن يخيفها لتسرع بالعودة إلى كليف. اعتقد أنها لن تتحمل تصرفاته هذه. ولكنه مخطىء. والآن وبعد أن استجمعت قواها تستطيع بسهولة أن تتحمل أية مشكلة تطرأ عليها.

ترددت عند هذه الفكرة. فقد تذكرت انفعالها عندما حاول

فيليب أن يلمسها. أكدت لنفسها أن ذلك كان نوعاً من الصدمة وليس إثارة. صدمة بسيطة من جراء غطرسة وقحة.

عادت لتفكر بكليف، ولكنها تشعر بالذنب، لم يحدث شيء. كل ما كان هو أنها نفرت من طريقة تصرف فيليب معها.

في اليوم التالي خرجت إلى البساتين تحاول التعرف إلى معالم أراضي الدوتادو. أرادت الهروب من أفكارها. جلست على الرمل. وفجأة ظهر ظل فوق رأسها.

«كان لا بد لي أن أعرف!» عبست محاولة إخفاء شعورها بالصدمة الغريبة التي سرت في جسمها. «كان لا بد لي أن أعرف أنه أتى!»

«مساء الخير، يا سنيوريتا!» كان صوته ناعماً. «أهناك سبب ما جعلك غير مسرورة لرؤيتي؟»

«أنا ممثلة بارعة، هل نسيت؟ هل تحفظ سراً؟ أنا مسرورة جداً برؤيتك.» أدارت وجهها وتابعت لهوها. فقد كانت جاثية على الأرض تحفر حفرة بأصبعها في الأرض المليئة بالغبار. «وهكذا أنا ممتنة لك. بالسعادة المفاجئة هذه.»

«أردت أن أتحدث إليك. بحثت عنك في كل مكان، هذا آخر مكان خطر في بالي أخيراً. لم أتوقع أن تكوني هنا بين الأشجار متسخة اليدين.»

إبتسمت ليانا. أحست بالدفء عندما اكتشفت أنه كان يبحث عنها. وجدّ في طلبها حتى وجدها. عاد يتساءل: «إذن؟ ماذا تفعلين هنا؟»

«أليس واضحاً لك ما أفعله؟»

كان يقف بقامته الفارعة، يشرف عليها بظله الذي يغطيها. كان يرتدي سروالاً من الجينز، وقميصاً بسيطاً من القطن، وعلى رأسه قبعة عريضة من الجلد.

إبتسم عندما قالت: «إني أزرع شجرة.»

«حقاً! هذا ما أرى.» كانت تشعر بنظراته. «ولكن لماذا تزعجين نفسك بعمل أستطيع أن أجند من أجله جيشاً كاملاً من الخبراء. أيمكنك تفسير هذا الأمر؟»

فرفعت حاجبيها: «أفسر؟ لا أعتقد أنني ملزمة بأن أفسر لك أي شيء. هل نسيت، إنني أملك هذه الأرض مثلما تملكها أنت تماماً؟ ولو أردت غرس شجرة، سازرعها ولا يستطيع أن يمنعني أحدٌ.»

إختفت النبرات المرحة من صوته. «لا أحد يحاول منعك، يا سنيوريتا. كل ما أقوله هو أنك لو أردت زرع شجرة، مثلاً، على ملكيتك فلا بد من إيجاد طريقة مناسبة لهذا العمل لا أكثر ولا أقل.»

كانت ليانا تشعر بعينيه ترمقانها من تحت القبعة، كان يسخر منها. «أليس هذا ما تحاولين عمله؟ رسم حدود لملكيتك؟»

يا له من رجل متعجرف! وقفت ليانا ومسحت يديها بسروالها. نظرت إلى وجهه... ولكنها لم ترَ عينيه تحت ظل القبعة. قالت ساخرة: «وهل أنت، بقدومك إلى هنا وإزعاجي، تسعى لإقامة مستعمرة خاصة بك؟»

إبتسم لهذا، وجد كلامها ممتعاً، شعرت بنظراته تلاحقها ثم قال: «يوجد وحل على سروالك. الحفر وزراعة الأشجار عمل غير لائق بالأشخاص الذين يهتمون كثيراً بمظهرهم.»

إذن لم يفت إنتقادها اللاذع له عندما كانت تنظم ثيابها في الخزانة. إبتسمت وهي تقارن أناقة المرء عند ذهابه إلى الريتز في لندن لرشف فنجان من الشاي ببساطته في أدغال الأرجنتين!

ثم إلتفتت نحو فيليب، وقالت: «على المرء أن يضحي، فانا مستعدة لأن أخسر سروالين في سبيل التعرف على ممتلكاتي.»

ضحك وهو يقول: «هل عمل الحفر في الأرض هو السبيل للتعرف على ممتلكاتك؟»

أجابته وقد أغضبها كلامه: «ليس هذا كل ما كنت أقوم به. فانا أطوف في المنطقة منذ الساعة السادسة من هذا الصباح. فقد اصطبحت زوج روزاريا وبعض العمال لمساعدتي في التعرف على المنطقة... لقد حصلت على معلومات كثيرة عن الدوتادو.»

«ألا ترين أنك تبذلين جهداً عديم الفائدة؟ لماذا تريدين التعرف على معالم الدوتادو؟ ألست ذاهبة إلى لندن في القريب العاجل؟»

بالطبع، فلندن المكان الذي ترعرت فيه. إنه مكان عملها ومكان كليف. ولكن من هو فيليب ليحدد لها مكان وجودها؟

أجابت بحزم: «أعتقد، ان معرفتي بهذه الأمور ستفيدني. في الوقت الذي أكون قد رجعت فيه إلى لندن، لأنني سأكون قادرة على تنفيذ وصية العمة غلوريا دون أن يضطرني الأمر للتواجد في الدوتادو. وبالإضافة إلى هذا، أرجو أن لا تكون قد نسيت...» ورفعت رأسها بكبرياء. «... أن هنا

مسقط رأس أمي. أنا جزء من هذا المكان، مثلك تماماً!»

«وكل منا يعرف أي جزء منه!»

إبتسمت الشفتان العريضتان الغليظتان. شعرت بعينيه السوداوين تحت ظلال قبعته تلمعان بحقد. نظرت إليه وسألت: «وماذا تعني بهذا؟»

«أعتقد أنك تعلمين جيداً ما أعني. ليس قلبك الذي دفعك للمجيء إلى هذه البلاد للبحث عن جذورك الضائعة، إنه شيء بعيد كل البعد عن العاطفة. إنه الطمع والجشع!»

أجابت ليانا بغضب: «حسناً! فأنت تعرف الكثير! بالطبع أنت تعرف الكثير عن هاتين الصفتين لأنهما من صفاتك!»

رفع القبعة قليلاً عن جبهته حتى بانت عيناه. «وأنت، ألا تعتقدين أنهما من صفاتك أنت أيضاً؟»

«على الأقل، أنت تعترف بوجود الطمع الذي هو إحدى صفاتك السيئة.» ترددت ليانا للحظة، فهي غير قادرة على تحمل نظراته التي تجعلها دائماً تشعر بأحاسيس غريبة تسري في داخلها. عليها أن تعترف بأنها غير قادرة على الوقوف موقفاً سلبياً منه.

إتسعت إبتسامته. «أنا عادة لا أفسح مجالاً لأحد، يا سنيوريتا. هذه بالتأكيد من صفات الرجل. أن يرفض كل الأعذار ولا يفسح مجالاً للتدخل في شؤونه.»

«إنها صفات حميدة.»

«إنها تخدم هدفها وتحمي الذين يتحلون بها.»

قالت بنبرات توحي بالإهانة: «لقد اكتسبتها في وقت مبكر من عمرك.»

لقد كان فيليب يتمتع بقوة متميزة، قوة، هي جزء من

تكوينه. يقف بحزم كشجرة السنديان التي لا تحنيها الرياح، نوع من القوة التي تروق لها. رجل مثله لو كان صالحاً. لكان من الرجال الذين يستطيع المرء الإعتماد عليهم.

ولكنه يستعمل هذه القوة بأساليب شيطانية. ومواقفه سلبية دائماً. إنه قادر على الخداع، وهذه من صفات شخصيته الماكرة وقد كانت العمة غلوريا، ومن دون أدنى شك، واحدة من ضحايا طمعه.

تفكير ليانا به بهذه الطريقة، جعلها تقسو عليه لتعيد الإطمئنان إلى روحها. ولكن، لمَ تعيد الإطمئنان، فهي لم تتعرض لأي خطر!

كان ينظر في وجهها بتلك العينين السوداوين كخشب الأبنوس. قال لها منكراً بالملاحظة التي كادت أن تنساها: «لقد تعلمت أشياء في مرحلة طفولتي المبكرة، يا سنيوريتا. أشياء من الصعب أن يصدقها إنسان ساذج مثلك.» إتسعت إبتسامته. «هناك أشياء كثيرة أستطيع أن أعلمك أياها.»

«من المؤكد أن هناك أشياء كثيرة.» كان قلبها يخفق بشدة. إنها بالفعل ساذجة، ولكن ليس إلى حد يمنعها من إدراك تلميحاته العاطفية في حديثه...

قالت مؤكدة كلامها، وهي تنظر في عينيه: «ولكني لا أتمنى أن أتعلم منك أي شيء!»

وفجأة، شعرت ليانا بأن هذا الرجل، ومن دون أدنى شك، إنسان دجال مشعوذ، هل يحاول التقرب منها، ومن ثم الزواج بابنة عمته لتنفيذ خططه.

لكنه فاجأها بإقترابه منها. فقد دنا خطوة وقال: «هناك درس واحد، أصر على تعليمه لك.»

أحست بمشاعر غريبة عندما أمسك ذراعها. كان دمها يغلي وقلبها يرتعش، ولكنها حاولت أن تقنع نفسها وهي تسحب ذراعها من يده، أن هذه المشاعر ما هي إلا ثورة غضب، وبينما كانت تحاول جاهدة سحب ذراعها. شعرت بتصادم جسدها بجسده. أحست، للحظة، أنها تستسلم لهذه الموجة العاطفية. أرادت أن تصرخ عندما شعرت بدفء جسده وقوّة عضلاته التي تضغط على جسدها. لسعتها ألسنة من لهب، والتقطت أنفاسها. «قف! ما الذي تفعله أيّها الوغد؟» كادت تقول هذه الكلمات لو لم يمتلكها الخوف والرعب... أقلقتها عيناه الداكنتان. توقف قلبها عن النبض. إنها الآن أرنب مسكين في فخ شرس.

ولكنها دهشت حين فك أسرها، وابتسم وهو يرمي بقبعته على الأرض، «أنت تحتاجين درساً يا سنيوريتا، في كيفية عمل الحفر المناسبة. فهذه الحفرة لا تكفي لزراعة خسة.»

أدركت ليانا من خلال نظراته، قدرته على السيطرة عليها. كانت تعتقد أنه سيقبلها، كان يريدها أن تعتقد هذا، ولكن، ربما لم يعط لنفسه الحرية في تقبيلها لوجود عمال المزرعة في كل مكان حولهما. إلتقط الرفش الذي رمته ليانا بالقرب من الحفرة، وبدأ بتوسيعها واستعان بالمعول حتى أصبحت أكبر بثلاث مرات من الحفرة الأولى. ثبت الرفش في الرمل ونظر إليها: «هذه، يا سنيوريتا، الطريقة الصحيحة للحفر.»

إلتقط قبعته، ثم وضع إصبعين بين شفتيه وأطلق صفرة يستدعي أحد عمال المزرعة. قال لليانا وهو يضع القبعة على رأسه: «والآن سينهي العمل لك أحد الخبراء.»

«لا داعي لهذا، فالجزء الأصعب من العمل قد إنتهى، أستطيع القيام بعملية الزرع وحدي.»

فنظر إليها من تحت القبعة: «أشك في هذا. مهما أقنعت نفسك، فأنت لست معتادة على هذا النوع من الأعمال الزراعية. الطبع على الآلة الكاتبة في مكتب مكيّف في لندن... هو العمل المناسب لك.»

«أنا لا أسكن في وسط لندن.» أرادت أن تغير له الصورة التي كوّنها عنها. «أنا أسكن في غرفة في ضواحي لندن، والغرفة التي أعمل فيها ليست مكيفة، بل تطل على حديقة.»

«وهي الحديقة التي تعلمت فيها زراعة الخس.»

«شيء مضحك!» كانت ليانا تضحك بينما قال فيليب كلامه هذا وهو يبتسم. فجأة لمعت في ذهنها أفكار غريبة بينما كانت نظراتها مصوبة نحوه، فهما وبالرغم من المشادات الكلامية بينهما، يفسحان المجال لبعض الكلمات المرحة والنكات الخفيفة أن تتخلل كلامهما. كان لديهما القدرة على ترك العتاب الجاد والتمتع بلحظات مرح وسعادة. ومن دون أن تدري، وجدت ليانا نفسها تفكر بكليف، لو أنها تتكلم معه بنفس الطريقة الفظّة التي تتكلم فيها مع فيليب، لساد الصمت بينهما وفارقتهما روح النكتة.

لماذا تلجأ إلى هذه المقارنة؟ إبتعدت عن فيليب وقالت له: «لو تتركني وحدي فسأكون في أحسن حال، ولن تفيدني خبرتك في كيفية عمل حفرة كبيرة.»

أمسك فيليب ذراعها مرة أخرى ولكن هذه المرّة لم تشعر بأية إثارة، وشدها نحوه حتى أصبحت تواجهه. وصرخ

في وجهها: «هذه ليست لعبة، يا سنيوريتا، وقد أضعت وقتي ووقتك، لهؤلاء الرجال أعمال يقومون بها ولن يهملوها من أجل تنظيف مكان لعبتك.»

صمت لبرهة، ثم أدار رأسه إلى الوراء حيث تقف سيارته الرانج روفر. «أعذريني لإصراري. ستأتين معي الآن.»

حاولت أن تفلت ذراعها من يده. «أبعد يديك عني! توقف عن إصدار الأوامر. لن أذهب معك إلى أي مكان!»

«وماذا ستفعلين؟» لمعت عيناه تحت قبعته الجلدية. «هل ستبقين هنا، تعرقلين عمل عمّال المزرعة إنهم عمالي، وأريدهم أن يؤدوا واجباتهم على أكمل وجه.»

«إنهم عمالي أيضاً.» كانت حجتها قوية، ولكن الذي يزعجها في كلامه هو أن يتكلم عن الدوتادو وكأنها ملكه وحده.

«وهل هذا يعطيك الحق في أن تعطلي العمّال عن أعمالهم، وتضيعي وقتهم.»

حدّقت به ليانا: «لم أضيع وقتهم وهم لم يحتجوا، فلمَ تحتج أنت؟»

«بالطبع، لم يحتجوا! ولماذا يحتجون؟» إبتسم إبتسامة هادئة. «إنها تسلية بالنسبة لهم أن يرافقوا فتاة إنكليزية شابة مثلك في تجوالها طوال النهار.»

كانت نظراته مثيرة واستفزازية في آن واحد. أعادت إليها إرتباكها، وعاد يشد قبضته على ذراعها ويقسو عليها بنظراته.

«ولكنني رئيسهم، وأرى الأمور بمنظار آخر. الذي أراه الآن هو أنّ مجموعة كبيرة من العمّال الذين يتقاضون

أجوراً عالية يضيعون وقتهم الثمين بالنظر إلى إمرأة لا تعرف لعملها هدفاً محدداً، ولو أنها تريد نجاح عمل المزرعة، فعليها أن تعطيني الحق فيما أقول وتعتذر عن تصرفاتها السيئة.»

لم يدرك مدى اقتناعها بما قال، فهي كلماسمعت حديثه، إقتنعت أكثر. فقد شعرت هذا الصباح أن زوج روزاريا، لم يعجبه وجودها في المزرعة، واعتبر أعمالها ملهاة للعمال، ولا شك في أن فيليب على حق بمنعها من التجوال في أرجاء المزرعة.

كانت على وشك أن تقدم اعتذارها، عندما طلب كماشة حمراء، لفتح شفتيها.

وهنا، إستبدلت الإعتذار، بصرخة: «أترك ذراعي وتوقف عن إهانتي.»

ترك ذراعها وهي لم تنهِ كلامها بعد. إبتعد عنها وكأنه لم يسمع كلمة واحدة من كلامها. إبتعد ليكلم أحد العمال الذي كان في طريقه إليهما.

تكلم مع الرجل بالإسبانية. وأجابه الرجل بالإسبانية: «نعم، يا سنيور .» كان شكل ليانا يعكس غضباً صامتاً، تمنى فيليب لو تسمعه ليانا كلمات الغضب هذه.

إلتفت إليها. «أقترح أن نذهب الآن.» لم تشجعها نظراته على المناقشة.

لم تجب ليانا، ولم تبد اعتراضاً، ولكنها رفضت أن تذعن لأوامره. إستدارت بتهذيب نحو العامل وحيّته. «مرحباً...» وقبل أن يحاول إمساك ذراعها مرة أخرى مشت بإتجاه الرانج روفر.

إستقلت السيّارة دون أن تلتفت إليه، بعد أن فتح لها الباب. أدار المحرّك وعيناها ما زالتا مسمرتين على الطريق. أذعنت لأوامره لأنها إقتنعت بأنها عادلة، ولكنها رفضت أن تنفذها وهي مبتسمة.

إتجها نحو البيت. لم يحرّك فيليب ساكناً وعيناه تتطلعان إلى الطريق متجاهلاً وجودها، ولكن عدم إحساسه بها أزعجها مع أنه كان مناسباً لها.

وفجأة إلتفتت نحوه وقالت: «لقد أخبرتني بأنك كنت تبحث عني، هل لي أن أعرف السبب؟»

رماها بنظرة داكنة. «هل تعتقدين أني كنت أبحث عنك لأتمتع برفقتك؟»

«لم يخطر هذا قط على بالي.» تجاهلت شعورها بأن هناك مداهنة في صوته. «أعتقد أنك كنت تبحث عني لتتلذذ بإرباكي وبإثارة غضبي.»

«خلال ساعات العمل، هناك واجبات كثيرة عليّ أن أؤديها، وهذه المتعة أقوم بها عادة في ساعات الفراغ.»

شعرت بدعابة في نبرات صوته مرة أخرى.

«إذن هل لي أن أعرف، لماذا كنت تبحث عني؟ من المؤكد أن لذلك سبباً هاماً.»

عندما وصلا إلى الممر المؤدي إلى المزرعة، إلتفت إليها، وقال: «كنت أبحث عنك لأبلغك دعوة.»

«دعوة؟» رفعت حاجبيها وتعجبت. «ما نوع هذه الدعوة؟» من المؤكد، أن دعوة من فيليب ستكون خالية من المتعة.

«دعوة لحفلة عشاء أقيمها في بيتي بمناسبة ذكرى

ميلاد أختي الخامس والعشرين.» أضاف قبل أن يتركها تظن أنه صاحب فكرة الدعوة: «أختي متشوقة لرؤيتك. إنه فضول نساء.» وقعت ليانا في حيرة، هل تعبر له عن شكرها لكياسة أخته ولطفها الزائد أم تؤنبه لإساءة معاملتها ومضايقتها هذا المساء؟

ولكن، وقبل أن تقرر بماذا ترد عليه، توقف فيليب أمام المدخل وانحنى أمامها ليفتح لها الباب. «ستمر سيارة لتقلك في الساعة الثامنة،» قال هذا وهو يستقل السيارة. إبتسم لها وهو يغلق الباب. «لو كنت ما تزالين في الدوتادو. كوني مستعدة في الوقت المناسب، أما لو سافرت إلى لندن، فلا تنزعجي فسأنقل تحياتك إلى أختي.»

ثم أدار المحرك، ليرتفع صوت عجلات السيارة المنطلقة.

www.elromancia.com

الفصل السادس

وقع حدث غريب في صباح اليوم التالي.

فما أن انتهت ليانا من تناول طعام الفطور، حتى جاءت روزاريا لتعلمها بأن السنيور جوليو مونتيلا، ينتظرها في غرفة الجلوس.

من؟ هرعت ليانا إلى غرفة الجلوس بدافع فضولي، لتجد رجلاً في عقده السبعين، عيناه بنيتان في وجه أتعبته السنون، نهض واقفاً ليحييها.

«جوليو مونتيلا في خدمتك.»

لقد أكد لها هذا إذ شرح لها أنه سيكون في خدمتها، ورهن إشارتها طيلة فترة إقامتها في الدوتادو، ليعرّفها على المزرعة ويخبرها عن تاريخها، وكيفية العمل فيها، والتفاصيل المالية. باختصار كل أمر كانت بحاجة ماسة إلى معرفته.

قال لها: «لقد عملت في هذه المزرعة لمدة خمسة وعشرين عاماً. وكنت مديراً عند العمة غلوريا في الخمس عشرة سنة الأخيرة.»

بان في عينيه البراقتين حزن مفاجيء. «لسوء الحظ فقد اضطررت للتقاعد في الوقت الذي كانت هي فيه تعاني من المرض. وذلك بسبب تعرضي لنوبة قلبية حادة. لهذا لم أستطع أن أقدم لها العون في آخر ساعات حياتها.»

اعتدل وهو ينظر في عينيها بفخر. «ولكننا بقينا

أصدقاء حتى آخر لحظة من عمرها، ولي الشرف في أن أقدم لك العون، فأنت على كل حال إبنة أختها.»

«من أرسلك، أيها السنيور مونتيلا؟» إعتقدت أنها تعرف الجواب مسبقاً. «هل هو السنيور فيليب ماندیز؟»

إبتسم الرجل العجوز. «لم يرسلني، يا سنيوريتا، لقد طلب مني تأدية هذه الخدمة، وأنا لم أكن لأمانع، لأن هذا يسعدني.»

بعد ساعة إنطلقا في شاحنة جوليو القديمة في جولة إستكشافية في الدوتادو. كان حب الأرض واضحاً عند هذا الرجل، وكان مسروراً لأن ليانا تشاركه المعلومات، وتفهم شرحه. لم يكن هناك أي سؤال لم يستطع الإجابة عنه. أخذها إلى حقول الذرة ودوار الشمس، وشرح لها كل شيء عن عملية الزرع والحصاد، وعن أنواع الآلات والسماد الذي يستعمل. وكانت مأخوذة بسحر حديثه.

قال لها عندما كانا في طريق العودة إلى البيت، بعد يوم حافل وشيق. «غداً، سأصطحبك إلى الأماكن التي تربى فيها الماشية. عندنا أفضل بقر في المنطقة.»

تمددت ليانا على سريرها تلك الليلة... وهي تشعر بتعب منعها من الكتابة إلى كليف... ولكن لم يمنع عنها الشعور بالسعادة وهي ترقب الغد. اليوم كان بالنسبة لها يوم اكتشاف الحقائق، وقد وصلت إلى فهم أمر كان يقلقها. وهو السبب الذي جعل فيليب يرسل هذا الرجل العجوز ليهتم بها بمساعدة جوليو وتعليمه لها.

لن يكون هناك خطر على سير العمل في المزرعة، ولا صرف العمال عن أعمالهم. إن جوليو مدرس ماهر. لقد

www.elromancia.com

تعلمت منه الكثير عن المزرعة خلال ساعة واحدة، بينما قضت الأيام الماضية في تساؤل دائم.

لا، ربما هناك سبب آخر. لماذا طلب فيليب من هذا الرجل أن يسدي خدمة لها. ربما كان يأمل في أن لا تتحمل سيل المعلومات فتخاف من تحمل هذه المسؤولية فتهرب في أول طائرة تقلع إلى لندن.

إبتسمت وهي تغرق في سريرها. لقد أعطت خطته نتائج عكسية. أشعلت في نفسها حماساً لم تعرفه من قبل. وأصبحت أكثر إصراراً على الحفاظ على نصيبها في الإرث.

مالت ليانا على وسادتها الناعمة وأطفأت نور المصباح بجانبها، وهي تبتسم ابتسامة رضى وانتصار. فهو لن يتغلب عليها.

عندما يأتي نهار الجمعة، يوم ذكرى ميلاد أخته، سيخيب أمل فيليب الذي كان ينتظر هزيمتها التي سترغمها على العودة السريعة إلى لندن.

عند الساعة الثامنة تماماً وصلت السيارة لنقلها إلى منزل فيليب. سيارة ليموزين بيضاء لامعة. أما السائق فقد وضع قبعته على صدره وانحنى حين فتحت له ليانا الباب. إستقلت ليانا السيارة وجلست في المقعد الخلفي تنظر حولها مذهولة. أمن الممكن أن يكون فيليب قد استأجر السيارة كنوع من الإثارة!؟ أم أنها ملك أخته؟. أو لأحد الأصدقاء!؟ فهي لم تستطع أن تتخيل أن شخصاً مثل فيليب ماندين، يرتدي سروال جينز بالياً وقميصاً من القطن البالي، يملك سيارة ليموزين فخمة أنيقة كهذه.

جلست مفكرة في المقعد الجلدي الناعم تنظر إلى الأراضي الواسعة الممتدة أمام نظرها. خلال تلك الأيام القليلة الماضية، إستطاعت بمساعدة خبرة معلمها جوليو، أن تتعرف على كل قطعة خشب أو على كل حجر في هذه المنطقة داخل حدود الدوتادو، فهي لا تشعر الآن وكأنها غريبة. بل، لقد ازداد حبها لهذا المكان.

قطبت حاجبيها بمجرّد التفكير بفيليب، هل سيفسد عليها سهرتها؟ قطعت ليانا وعداً على نفسها، بينما كانت السيارة تجتاز حدود الدوتادو إلى منطقة مجهولة، بألاّ تسمح لفيليب أن يفسد سهرتها. إذ كانت تنتظر بشوق موعد لقائها مع أخت فيليب، من ستلتقي من الأقارب في هذا العشاء. إنها ستهمله وتتجاهله، لو حاول المساس بها!...

أحست ليانا وكأنها لن تصل إلى المكان المحدد، فقد أمضت في هذه الرحلة أكثر من أربعين دقيقة، عندما انعطفت الليموزين البيضاء عن الطريق الرئيسية، ودخلت عبر بوابة حديدية ضخمة. إلى ممر مظلل بالأشجار على جانبه.

توقف قلبها عن الخفقان عندما رأت بيتاً فخماً، أنيقاً، مضاء بالأنوار. وكانت المزرعة على الأرض المحيطة به. يعتبر بيت العمة غلوريا متواضعاً جداً بالمقارنة مع هذا المنزل. من المؤكد أن فيليب لا يستطيع العيش في مكان كهذا؟

كانت ما تزال مدهوشة مبهورة من كل ما تراه، حين ترجلت من الليموزين. شعرت بسرور لارتدائها ثياباً أنيقة هي عبارة عن سروال من الحرير اللؤلؤي مع كافيرول

مناسب، ووضعت في أذنيها قرطين من اللؤلؤ، وصندلاً فضياً في قدميها. كانت قلقة لظنها أنها قد تكلفت بلبسها، ولكنها أحست بأن هذه هي أقل مخاوفها.

لقد كانت على حق. ما ان خطت نحو الباب الذي وصلته عبر درج من الحجر حتى فتح لها وظهرت سيدة شابة، سوداء الشعر، تلبس ثوباً رائعاً. تقدمت منها هذه السيدة وهتفت بفرح: «ليانا! أنت ليانا؟. أنا مسرورة لرؤيتك!» وألقت بذراعيها حول ليانا وعانقتها بحرارة. «أنا جوانيتا. شقيقة فيليب أنا سعيدة جداً لقدومك!»

شعرت ليانا بالدفء يسري داخل جسمها. «أنا أيضاً مسرورة جداً بلقائك.» هذا هو الشعور الحق الذي يشعر به المرء عند لقاء أقرباء له. إحساس بالقرابة والإرتباط العاطفي. وليس الكره غير الطبيعي الذي قابلها به فيليب.

«وهكذا قمت بها، أخيراً.»

عرفته من صوته. نظرت إلى الداخل حيث قادتها جوانيتا. وقع نظرها على شخص يقف في الظل، كاد قلبها يقع من مكانه.

لم يكن هذا فيليب الذي عرفته عليه، بسرواله الجينز البالي والقميص البسيط، والحذاء المغبر.

وبحركة لا شعورية، فتحت فاها، واتسعت عيناها، وهي تحدق به مذهولة. عليها أن تقر، وتعترف بصدق، أنها لم ترَ في حياتها رجلاً بمثل هذه الأناقة. كان يرتدي بذلة بحار مع قميص أبيض وربطة عنق رائعة الألوان. رأت فيه شيئاً جعلها تبتسم. فقد كان يقف مستقيماً، وشعره الأسود يلمع تحت النور المنبعث من المصباح. كان يظهر وكأنه في

ملابسه العادية التي لا يظهر في المجتمع من دونها أبداً. ولكن الذي لم يتغير فيه، هو هذه الغطرسة الطبيعية.

«أخيراً قمت بهذه الزيارة.» قالت ذلك وهي تتقدم باتجاهه محاولة إخفاء إضطرابها. فهي تكره أن يخفق قلبها بهذه الطريقة. «لم أشأ أن تفوتني حفلة العشاء هذه.»

قالت جوانيتا: «كنت أنتظر قدومك بفارغ الصبر. ثم نظرت إلى فيليب. «كيف تجرأت على القول انك كنت تتوقع عدم قدومها إلى الحفلة؟»

في تلك اللحظة، إبتسمت ليانا. إنفرجت أسارير فيليب، وعبر وجهه عن عاطفة صادقة. إنه شيء غريب أن يكون قادراً على التحول بهذا الشكل السريع. لم تفكر، ولو للحظة، بأنه قادر على الحب، ولكن من المؤكد أنه يحب أخته كثيراً.

سارت معها جوانيتا إلى قاعة الإحتفال عبر ممر طويل. كانت القاعة رائعة بل مذهلة. كان في القاعة مجموعة من الضيوف يشربون شراباً ويتحادثون، ولكن ما أن قامت جوانيتا بتقديم ليانا إلى الضيوف، حتى اقتربت منها خادمة وهمست شيئاً في أذنها.

إبتسمت جوانيتا، واعتذرت من ليانا. «لو سمحتِ هناك من يطلبني لترتيب أمر في المطبخ! سأغيب لحظة.» أمسكت بكم فيليب وقالت له: «كن مهذباً، يا فيليب، وقدّم ليانا إلى الضيوف. سأعود بأسرع ما يمكن.»

عندما ذهبت جوانيتا، تقدم فيليب من ليانا ومشى معها باتجاه الضيوف. كان صعباً عليها أن تخفي أسارير التعجب في وجهها. أرادت أن تضحك. فيليب يصبح مهذباً؟

هذا شيء لا يصدق!. ألا تعرف جوانيتا أخاها جيداً، أم أن الحب أعماها عن الحقيقة؟

بتهذيب، قدّم فيليب ليانا. «هذه ليانا إبنة أخت غلوريا.»

ما زال غير قادر على هضم صلة القرابة بينه وبينها. فقد قدمها لضيوفه على أنها قريبة تيا غلوريا، مع أنه كان أسهل عليه أن يقدمها على أنها إبنة عمته.

ولكنه تابع حديثه بطريقة شيقة. «ليانا تعيش في لندن وهي الآن تشرفنا بزيارة قصيرة.»

نظرت إليه ليانا وتأملته وهو يتابع حديثه. إنه بعيد كل البعد عن التهذيب، لقد أكدّ أن زيارتها قصيرة. كان تحذيره لها واضحاً.

لقد سُرّت ليانا بالتعرف إلى الحضور، فحوالي نصف الضيوف كانوا أقرباء لها. أما فيليب، فهي لم تره من قبل بمثل هذه الرقة والدماثة والكرم نحوها. ولو لم تكن تعرفه لصدقت أنه مسرور وفخور بوجودها في بيته. وكذلك فقد لاقت ترحيباً ومودة من قبل باقي المدعوين.

«كنت دوماً متشوقاً لرؤية قريبتي التي من لندن.» قال ذلك رجل ذو شاربين كانت قد تعرفت عليه باسم سلفادور حين قدّم لها كأساً من الشراب. «وأنت لطيفة كما تخيلتك بالضبط!»

توردت وجنتاها لهذا الإطراء. «أنا أيضاً كنت متشوقة للقياك. ولقياكم جميعاً،» قالت كلامها، وهي متأكدة من أنها تعبر عن عواطف صادقة.

لم تكن تعرف شيئاً عن أقارب والدتها، حتى أنها لم تعرف بوجود أقارب لها. ولكنها كانت تشعر برغبة كامنة

في داخلها، وكان هناك سراً عليها أن تكتشفه، والآن، أصبحت هذه الرغبة أمراً واقعاً بإكتشاف أقارب لها.

ودهشت ليانا وهي ترى فيليب يفاجئها بقوله: «كذلك شعرت تيا غلوريا، وقد اعترفت لي بأنها تريد رؤيتك.»

نظرت ليانا إليه. «هل قالت ذلك؟»

إلتقت عيناها بعينيه للحظة، فتشتت ليانا فيهما عن نظرة زجر كانت تراها عادة. ولكن هذه المرة لم تجد لها أثراً، ولكنها لمحت ذرة ندم.

ما أعجب هذا! فكرت ليانا. ما الذي غيّره الآن؟ إنه يتصرف وكأنه يشعر نحوي بالمودة...!

سألها سلفادور، قاطعاً عليها أفكارها: «كيف تقضين وقتك في الدوتادو؟ لا بد أن الجوّ مختلف عن المكان الذي تعيشين فيه.»

«آه، كثيراً!»

شعرت ليانا بإرتياح لحديث سلفادور الذي أنساها تحسن نظرات فيليب إليها.

ثم قال آخر: «أخبرينا عن لندن!» كانت تشعر بسعادة مع أقاربها. كان حديثهم شيقاً ومسلياً، ولكن أحدهم قطع هذا الحديث بسؤاله: «إذن هل تخططين للقيام بمشاريع زراعية؟!... لو كان هذا صحيحاً، فلن تجدي شريكاً لك أفضل من فيليب.»

ترددت في الإجابة عن سؤاله. وجاءت الخادمة لتأخذ كؤوس الشراب الفارغة. فجأة شعرت بيد قاسية تمسك بذراعها وتسحبها بعيداً عن الضيوف.

«إسمحي لي بأن أصطحبك إلى الحديقة قبل أن نبدأ

العشاء،» همس فيليب في إذنها، دون أن يترك لها فرصة الاختيار. ولأن قبضته على ذراعها كانت قاسية جداً. فقد أخفت إضطرابها، وسمحت له بإخراجها من القاعة عبر الممر الطويل إلى الشرفة الكبيرة.

لم تحتجّ أو تحاول منعه من الامساك بزندها بهذا الشكل، خوفاً من أن تبدو سخيفة أمام المدعوين. ولكن، ما أن أفلت يدها حتى التفتت إليه بغضب. «ما هذا الذي تفعله؟ هل خفت من جوابي؟» هل خفت من أن أقول لهم انك لست الشريك المثالي؟ هل خوفك كان من أن أخبرهم عن محاولتك التخلص مني لتضع يدك على الدوتادو؟»

كان فيليب يتكىء على الدرابزين الحجري، حاملاً بيده كأساً من الشراب. قال ببراءة: «لِمَ هذه الطبيعة المتشككة، سنيوريتا؟ لقد اصطحبتك إلى الخارج لأريك هذه الحديقة الجميلة.»

أشار بيده إلى الممرات وأحواض الزهور الممتدة على طول النظر. «إنها جميلة، أليس كذلك؟ بما أنك تحبين الحدائق فقد أحببت أن تمتعي نظرك بهذه المناظر الخلابة.»

إبتسم وهو يكلمها. ولكن ليانا كانت متجهمة الوجه غاضبة. لن يستطيع السيطرة عليها بهذه السهولة. ونكرته: «إنك نسيت، أنني أهتم فقط بزراعة الخس. لا أعتقد أن عندك أي شيء للزراعة هنا.»

«هناك مزروعات في تلك الزاوية، هل تحبين أن تري إن كانت مزروعة بطريقة صحيحة؟»

أرادت ليانا أن تبتسم، ولكنها امتنعت، إذ أنه يصبح عند ذاك، أكثر براعة في التغلب عليها. وضعت كأس الشراب

على طاولة بقربها، وقالت دون أن تنظر إليه: «هل تعرف أنك خدعتني بتصرفاتك اللائقة هذا المساء. كنت سأنسى سوء تصرفاتك الماضية، حتى جئت بي إلى هنا.»

شرب من كأسه، وقال: «هل أعجبك تنكري في ثوب الرجل المهذب اللائق؟»

«أرى أنك تعترف بأنه تنكر!» لم تجبه عن سؤاله. والواقع هو أنه قد أعجبها كثيراً.

ولكنها أضافت: «كنت أعرف أن تحت هذا الثوب تظهر حقيقة رجل قاسٍ متوحش.»

«هل حقاً ترينني هكذا؟ متوحشاً؟» وابتسم. «يا لها من نظرة شاعرية.»

في لحظة صمت، شعرت ليانا بعينيه تتأملانها. شعرت باضطراب وخوف، ولكنه قطع الصمت بقوله: «أعتقد أنني أعرف سبب اختيارك كليف خطيباً لك. أراهن على أنه بعيد كل البعد عن القسوة الوحشية.»

لم تغضب ليانا لإنتقاده خطيبها، بل شعرت بقلبها يخفق متوتراً. إذ لم تتساءل أو تحتج ولكنها أجابت ببراءة: «كليف، قاسٍ؟. إن خطيبي رجل ينسجم سلوكه مع مقياس رفيع من مقاييس السلوك الحسن، إنه وسيم من رأسه حتى أخمص قدميه!»

«هذا ما أعتقده، وأراهن على أنه يعاملك كسيدة مجتمع راقٍ.»

«بالطبع.»

إبتسم فيليب، وقال: «أليس هذا مملاً؟»

أدهشها هذا التعبير: «ممل؟»

«نعم، إنه ممل.»

«وكيف يكون مملاً؟»

صمت فيليب لحظة، ثم وقف وكأنه يتحداها. «أليس من الأفضل أن تعاملي كامرأة؟»

إلتقت نظراتهما، وشعرت ليانا بتحولات في أحاسيسها. شعرت بأن فيليب قادر على قراءة أفكارها. شعرت بأنه يعرف عنها أشياء لا تعرفها هي عن نفسها. شعرت بأنه يفهمها أكثر مما تفهم هي نفسها. حاولت بجهدٍ أن تبعد هذا الشعور عنها، وقالت: «لا أعرف ما تعني إذ لا أرى معنى لكلامك، علاقتي بكليف وطريقة معاملته لي هي أشياء تخصني وأنا مقتنعة بها.»

«هل أنت صادقة؟ ألا ترين أنه مضجر وممل كما قلت؟»

«مضجر؟» تعجبت مع أنها كانت متأكدة من أنه سيقول هذه الكلمة. عبست وقطبت حاجبيها. فكرت بكلامه. «هل تعتبر هذا النوع من العلاقات مضجراً ومملاً فقط لأنه متحضر ومتمدن؟»

فقال مبتسماً بكبرياء: «إنني أراه مضجراً ومملاً. إني أحاول أن أبتعد أميالاً لأتجنب علاقة كهذه.»

«ولكنني أختلف عنك، فأنت، كما أظن، تحب العلاقات المليئة بالمآسي. مشادات، وعواطف كثيرة و...»

وتعلقت عيناه بعينيها: «حب. كثير من الحب، هو ما أنشد في علاقاتي.»

كان كلامه سطحياً، فكل إنسان يسعى للحب في علاقاته. ولكنها شعرت بنبض قلبها يتسارع، حتى أنها شعرت بتدفق الدم في شرايينها.

«وماذا عنك؟ ألا تشعرين بالحب؟» أطبق شفتيه الغليظتين حتى كادتا تختفيان. «يصعب عليّ أن أصدق هذا.»

لم تعد ليانا تتحمل نظراته. أحست وكأنها ستسقط أمامه. إنه قادر على الشعور بالحرارة التي تخترق جلدها، وعلى تحسس خفقات قلبها المفاجئة.

مالت بنظرها عنه تتأمل الممرات الحجرية، ثم قالت وكأنها تدافع عن نفسها: «أنا أحب كليف، وعلاقتنا مشبعة بالعاطفة والرغبة. فالمدنية والعاطفة لا تتعارضان. في استطاعة المرء أن يجمعهما في آنٍ واحد.»

«لا أعتقد، يا سنيوريتا.»

«إنها الحقيقة.» أخفت إبتسامتها خوفاً من أن يلاحظ فيليب اقتناعها الضمني بكلامه. فعلاقتها بكليف علاقة حب تلقائي، لا تحركه رغبة جامحة أو عاطفة جياشة. فالحب الحقيقي يظهر في كل خط من خطوط وجه المحب.

تملكها شعور بالشوق، إلى تلك الشفاه القاسية واليدين القويتين والجسم الضخم. إنها قوى تجتمع لتقود المرأة إلى الجنون. ولكن، وفي الحال، تملكها الخجل. كيف تسمح لنفسها بأن تقع فريسة لتلك الأحاسيس؟ فهي مخطوبة لشخص تحبه ويحبها. لشخص كرست كل مشاعرها له. كذلك فمن العيب أن تشعر بهذا الشعور تجاه إبن خالها!... فيليب ماندیز.

ازدردت لعابها. عليها أن تذكره أيضاً بأنها إبنة عمته.

نظرت إليه قائلة: «أعذرني إذ أغيّر الموضوع، ولكن هناك تساؤلاً يحيرني. لماذا أشعر بأنه من الصعب عليك أن تعترف بأني إبنة عمتك؟! فدائماً تناديني بـ سنيوريتا، كذلك

تقدمني لأقاربنا على أنني إبنة أخت تيا غلوريا. ولماذا لا تبتعد عن الرسميات المزيفة وتناديني بإسمي ليانا؟ لماذا لا تخبر الناس بأنني إبنة عمتك؟»

نظر إليها نظرة طويلة قبل أن يجيبها. فجأة أغلق عينيه وقال وهو يتنهد: «هل تريدين تعليمي الكلام؟ لقد قلت لك خلال حديثنا، انني لست كليف المتمدن الذي يتمنى أن يزحف هائماً عند أية دعوة منك؟»

عاد الجوّ هادئاً. بعد أن كان مشحوناً بالتوتر في الدقائق القليلة الماضية. إرتاحت عندما نظرت إلى عينيه الدافئتين.

أجابت برقة: «أنا لا أطلب منك أن تفعل أي شيء، فأنا، وببساطة، أريدك أن تعرف أنني دهشة لمعاملتك لي كإنسانة غريبة. مع أننا، شئنا أم أبينا، من عائلة واحدة.»

أدار فيليب وجهه وكأنه لم يسمعها تتكلم، وقال: «حسناً، يا سنيوريتا، حتى الآن لم تقولي رأيك في هذه الحديقة؟»

إنه يؤذيها بتصرفاته المتعمدة هذه. إنه يحاول جهده أن يثبت لها عدم ارتياحه بل اشمئزازه من صلة الدم هذه.

تنفست ليانا بعمق. لماذا تهتم به بهذا الشكل؟ أحبُّ أن يعترف بصلة القرابة بينهما أم لم يحب، فهذا شأنه. وفضلاً عن ذلك، فهي تكرهه أيضاً.

أجابت ليانا دون أن تنظر إليه: «الحدائق جميلة جداً، وخصوصاً في ضوء القمر الساطع.» إبتسمت وتابعت حديثها: «ما أعجب أن تكون هذه الحديقة الجميلة وهذا البيت الرائع ملكاً لشخص مثلك؟.»

«شخص متوحش مثلي هل هذا ما تعنين؟ إنك، بلا شك، كنت تعتقدين أنني أسكن في كوخ.»

ليس كوخاً بالضبط. ولكن مكاناً أكثر تواضعاً، فكل شيء كان يدل على ذلك.

لم تقل هذا، ولكنها تابعت: «لهذا كنت تأمل أن ترث الدوتادو كلها وحدك، لو حصل ذلك لكنت سعيد الحظ.»

لم يحاول أن ينظر إليها. «لا تظني أن هذه الأملاك التي ترينها هي إرث، إنها ملكي وقد كسبتها بعرق جبيني.»

فسألته بفضول: «كل هذه الأراضي؟ كم تبلغ مساحتها؟ هل تملك أراضٍ خلف هذه الحدائق؟»

«قليلاً.»

«قليلاً فقط؟» إبتسمت ليانا بخبث. البيت والحدائق حوله لا تكفي جشعه، فهو يريد أن يضع يده على أرضها وأملاكها.

إلتفت نحوها وانحنى يتكىء على الدرابزين. نظر إليها بطريقة جعلها تخفي إبتسامتها.

قال بصوت منخفض: «أنا أملك كل قطع الأرض الممتدة من حدود الدوتادو حتى تيارافي. عليك أن تقرري إن كانت تعتبر قليلة أم لا.»

لم تكن ليانا لتعرف المساحة بالكيلومترات إلى تيارافي مع أنها تذكرت هذا الإسم، فقد قرأته على الخارطة. ولكن ما تعرفه هو أنها قضت حوالي الأربعين دقيقة في السيارة من حدود الدوتادو إلى هنا.

فجأة ظهرت جوانيتا على المصطبة لتقطع على ليانا حساباتها. إعتذرت من ليانا قائلة: «عذراً لعدم إهتمامي بك. فقد تركت هذا الأمر لفيليب.»

إبتسمت إبتسامة دافئة، وأمسكت يد ليانا. «لنذهب الآن، فالطعام جاهز. وأريدك أن تجلسي بقربي، فأنت ضيفتي المميزة لهذه الليلة.»

هكذا، يداً بيد، تحركت السيدتان إلى الداخل. وما أن وصلت ليانا إلى الباب الفرنسي الطابع حتى التفتت نحو فيليب لتلقي نظرة على وجهه الغامض وفي رأسها آلاف الأسئلة. لمَ يشغل رأسه بالدوتادو؟ فهو يملك أراضٍ واسعة جداً. فالخمسة آلاف فدان ما هي إلا نقطة في بحر. ماذا ستعرف عنه بعد؟ تساءلت وهي تنظر في تلك العينين الغامضتين الداكنتين كسواد الليل.

شعرت بالخطر، فأزاحت عينيها عنه. إنها مغامرة خطرة. فهي غير قادرة على سبر أعماقه ومعرفة أسراره. ففضولها هذا شاق، لا بل مضني، ولكنها، وبالرغم من الخطر المحدق بها، فهي تشعر بخيوط خفيفة تشدها نحوه، على الرغم من أنها تعلم أنها ترقص على حافة الهاوية.

الفصل السابع

كانت حفلة عشاء نكرى ميلاد جوانيتا رائعة. كان الطعام لذيذاً والحديث مسلياً، فقد تعمدت ليانا، ولو لوقت قصير، أن تبعد فيليب عن أفكارها وتمتع نفسها بالجو اللطيف.

أخبرتها جوانيتا: «إنه حدث سنوي. في كل سنة يعيرني فيليب بيته بمناسبة نكرى ميلادي، وهكذا أستطيع أن أقدم عشاء سخياً. فبيتي صغير، ولا يستوعب حفلة كهذه!»

أحبت ليانا أن تتعرف أكثر إلى قريبتها الجديدة وسألتها: «أين يقع بيتك؟! هل هو قريب من هنا؟»

«إنه يقع في قرية صغيرة قريبة من الدوتادو، وأعمل هناك كسكرتيرة في ديوان المحاسبة.» إبتسمت وأضافت: «لقد عاش أبي هناك منذ أن كان في السابعة عشرة من عمره، وأنا ولدت هناك، لم أنتقل إلى مكان آخر، فأنا أحبّ ذلك المكان.»

خيّم الحزن على عينيها العسليتين. «طبعاً، فوالداي توفيا إثر تعرضهما لحادث منذ بضع سنوات. لا شك في أنك تعرفين هذا.» صمتت لبرهة ثم عادت عيناها تلمعان. «ولكن عندي أخ رائع، فهو يعتني بي.»

لم تنكر ليانا شعورها بالارتياح لصداقة جوانيتا التي دعتها قائلة: «عديني بأن تأتي لزيارتي من وقت إلى آخر في فترة وجودك هنا. أعلمي فيليب. فهو على إتصال دائم بي.»

كان الوقت حوالي منتصف الليل حين شارفت الحفلة على الإنتهاء.

ودّعت ليانا المدعوين واحداً تلو الآخر، وراقبتهم وهم يغادرون، ويستقلون سياراتهم. لقد تلقت دعوات منهم جميعاً. ترى هل ستسنح لها الفرصة لرؤيتهم مجدداً؟

هذا يعتمد على نتائج معركتها مع فيليب، فهي الآن أكثر إصراراً من قبل على الفوز. خسارتها ستكون كبيرة لو فشلت.

ما أن غادر آخر مدعو حتى التفتت إليها جوانيتا قائلة: «ستبقين هذه الليلة هنا، طبعاً. أرجو أن لا تقولي لا. فالمسافة طويلة إلى الدوتادو. نحن الإثنان نريدك أن تبقي.»

إبتسمت معتذرة لجوانيتا: «أرى من الأفضل أن أعود، إن لم يكن لديك مانع.» لقد شعرت بأن فيليب لم تعجبه فكرة بقائها في بيته.

فعبست جوانيتا قائلة: «ولكن لماذا؟ والتفتت نحو فيليب، ثم تقدمت منه. «ليانا تريد أن تعود إلى الدوتادو. قل لها أن تبقى. أخبرها بأننا نريدها هنا معنا!»

إبتسم فيليب وقال: «إن كانت ليانا متشوقة حقاً للذهاب إلى الدوتادو، فسأوصلها، فلا مشكلة عندي.»

حدّقت ليانا إليه. «لا داعي لإزعاجك. أرجو أن يوصلني سائقك، ذاك، الذي جاء بي إلى هنا.»

«هذا صعب، فقد انصرف السائق منذ ساعات. لا بد أنه في سريره الآن، غارق في النوم.» صمت فيليب لحظة ثم أضاف: «السائق الوحيد الموجود الآن، هو أنا.»

ترددت ليانا في اتخاذ قرارها، فتدخلت جوانيتا. «ليانا ليست بحاجة إلى سائق، فهي ستبقى هنا هذه الليلة. أنا أصر على رأيي.» والتفتت نحو ليانا. «سأعيرك ثياباً للنوم. فعندي الكثير منها. وستكون لك غرفة الضيوف الرئيسية. أنا متأكدة من أنك ستشعرين بالراحة.»

لم تعرف ليانا ماذا تختار وترددت. كانت خائفة من قضاء الليل في بيت فيليب، وقد أقلقتها هذه الفكرة. ربما كان فيليب يشعر الشعور نفسه. إبتسم تلك الابتسامة المحيرة. «صدقيني فلن يزعجني إيصالك إلى الدوتادو إن كنت مصرة على العودة.»

فقالت جوانيتا بإصرار: «لا تكن سخيفاً. فهي لن تذهب. ستبقين، أليس كذلك، يا ليانا؟»

صمتت ليانا لفترة من الوقت ثم أجابت: «حسناً، سأبقى.» وابتسمت لجوانيتا.

كان عليها أن تختار بين قضاء الليلة في بيت فيليب أو الذهاب معه بمفردها في رحلة العودة الطويلة. لم يرق لها الحلان، وأحلاهما مرّ. ولكنها فضلت الحل الأول. فهي ستنام في غرفة الضيوف، وتقفل بابها وفي الصباح يقلها السائق إلى الدوتادو.

نظرت إلى فيليب: «أكره أن أزعجك بإرغامك على القيادة ليلاً.»

أحست بالسخرية في نبرات صوتها. وابتسم هو وأجاب بالسخرية نفسها: «لأجلك، يا سنيوريتا تهون كل المصاعب.»

قادتها جوانيتا إلى غرفة الضيوف في الطابق الأول.

كانت غرفة جميلة فيها أربعة أسرّة، أحضرت لها جوانيتا ثوباً للنوم وقالت: «ستجدين معجون أسنان وصابونة في الحمام. ولو احتجت أيّ شيء. فغرفتي بعد بابين من غرفتك.»

لم تكن ليانا محتاجة لشيء. دخلت الحمام فوجدت زوجاً من فرشاة الأسنان ما زالا مغلفين، وعلبة كريم وزجاجة صابون للحمام. إغتسلت بسرعة، وارتدت قميص النوم الجميل. نظرت إلى النوافذ الفرنسية الطابع. كانت الستائر تتمايل مع نسيم الليل العليل. لم تكن تشعر بالنعاس مع أنّ الوقت كان متأخراً.

شعرت ببرد قارس، تناولت عباءة كانت جوانيتا قد وضعتها على حافة السرير، فارتدتها، وقبل أن تقترب من النافذة لإغلاقها، في تلك اللّحظة، سمعت دقات على الباب.

استدارت ودعت الطارق. «تفضل!» لا بد أنها جوانيتا قَدِمَتْ لتتأكد من أنّ كل شيء على ما يرام.

ولكنها لم تكن جوانيتا. ارتجف قلبها عند فتح الباب، وقف فيليب بهدوء أمامها.

«أرجو أن لا أكون قد أزعجتك؟»

«كلا، فأنا لم أنم بعد.» وبحركة غير شعورية سحبت أطراف العباءة لتلفها حول جسمها، وتربط الحزام فوق خصرها. كان قلبها يخفق بسرعة.

«جئت لأسألك إن كنت بحاجة لأي شيء.» كان ما يزال مرتدياً بذلته الأنيقة وقد حلّ ربطة عنقه، وفك أزرار أكمامه.

«أتمنى أن تجدي كل ما تحتاجينه هنا!»

«آه، نعم، شكراً لك. فكل شيء موجودٌ.» التفتت نحو

الشرفة. «كنت أفكر باستنشاق بعض الهواء قبل الذهاب إلى النوم.»

«إنها فكرة حسنة.» كانت يداه في جيبيْ سرواله. إبتسم وقال: «هل تمانعين لو انضممت إليك؟»

«لا، بالطبع لا.» لم تكن تريده أن ينضم إليها، ولكن ما عساها أن تفعل؟ فهي ضيفته وفي بيته. وهو قد أحرجها عندما طلب إذناً منها. فهي لم تسمع منه من قبل، كلمات مهذبة كهذه!

كانت ليلة جميلة، يضيئها قمر فضي ونجوم منتشرة حوله تلمع كالماس، تبعها فيليب نحو الشرفة، شعرت بارتباك فاشاحت بنظرها نحو السماء. الذي كان يربكها هو شعورها بالفرح عند رؤيته.

سمعته يقول: «أتمنى أن تكوني قد قضيت سهرة جميلة. لقد سُرّت جوانيتا كثيراً بحضورك.»

«كانت سهرة رائعة. وقد سُررت بها.» كان يقف إلى جانبها، ولكن، ولحسن الحظ، ليس قريباً منها. تنفست ليانا بعمق تحاول إخفاء حماقتها. فهي ليست سعيدة لرؤيته. كل ما في الأمر، أنها تعودت أن تراه من وقت لآخر.

«لا بد أن لقاءك بأقربائك الجدد كان أمراً شيقاً لك. أعتقد أنه قد حرّك عاطفتك.»

لم تجرؤ ليانا على النظر إليه. لقد أثارتها تلك الملاحظة الأخيرة، تنفست بعمق وقالت: «طبعاً، فقد كنت سعيدة بالتعرف إليهم،» أضافت: «إنه حدث رائع أن أتعرف إلى أقرباء أمي. كنت أتمنى لو أجد شخصاً بينهم عرف والدتي.»

خفّ توترها عندما تكلم. إن هذا الدفء الذي أشعرها به عند المساء ما هو إلا شعور يعبر عن صلة قربى بينهما. ولن يقلقها هذا الشعور في المرّة القادمة.

التفتت لتنظر إليه قائلة: «والدك مثلاً؟»

«والدي؟»

«والدك. خالي. كنت أتمنى رؤيته.»

لم يجب فيليب. هناك سبب جعله يتردد في الإجابة. ثم بدأ بالكلام بصوت رزين: «كان خالك رجلاً صالحاً. من أفضل الرجال الذين عرفتهم في حياتي. كان يتحدث بعطف عن والدتك.»

هناك شيء عميق لم تفهمه، ولكنها سُرّت لمعرفة حب خالها لأمها. تنهدت وقالت: «إنه لغريب أن يجهل المرء كل شيء عن أفراد عائلته. أن لا يعرف حتى بوجودهم.»

هزّ برأسه موافقاً. «نعم، إني أفهم ذلك.» كان هناك ما يشير إلى تحفظه بالإجابة. لذلك لم تستطع معرفة مدى تصديقه لها.

إلتفتت ليانا لتنظر إلى فيليب، ودهشت لتلك العصبية التي تكلمت بها. «حقاً، صدقني! فأنا لم أكن أعلم بوجود أقارب لي. والدتي لم تخبرني عن أهلها. كل ما كنت أعرفه هو أن والديها كانا متوفيين، وقد جاءت إلى لندن عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها. كانت ما تزال صغيرة عندما تعرفت إلى والدي وتزوجته. وعندما أنجبتني. كانت قد أصبحت سيدة انكليزية، فقد مكثت في لندن حوالي الإثنتي عشرة سنة. لم تتكلم أبداً عن ماضيها.»

«ألم تسأليها عن هذا الأمر؟»

«بالطبع سألتها. عندما كبرت كنت أتساءل. وكانت تعطيني ردوداً لطيفة. لم تدخل في التفاصيل، ولم تخبرني قصصاً عن حياتها قبل قدومها إلى إنجلترا!»

تنهدت وأخذت تنظر في وجه فيليب وعينيه الداكنتين اللتين كانتا تتأملانها، ثم قالت: «أقر بأنه أمر غير معقول. لا يصدق، ولكنها الحقيقة. ربما فعلت هذا بسبب حبها لوالدي. فقد قالت لي ان حياتها بدأت عندما تعرفت إليه.»

ابتسم فيليب وقد تأثر بكلامها. وازدادت دهشة، فهي لم تكن تعرف أنه عاطفي إلى هذا الحد.

تكلم فيليب بعد برهة صمت، وسألها بنبرات غريبة: «وهل هذا ما تشعرين به أنت أيضاً تجاه كليف؟»

لم تكن تنتظر هذا التحول المفاجيء في الحديث، ولكن إجابتها كانت حازمة: «أحبه جداً! هل هذا ما تريد معرفته؟»

«لقد قلت لي هذا.»

«إذن، لم يكن هناك ثمة داع لتسأل.»

«سؤالي كان مختلفاً. هل تحبين كليف بالطريقة نفسها التي أحبت فيها والدتك والدك؟»

كان سؤاله تافهاً. فهذا ليس من شأنه. ولكن هذا السؤال أصاب موضوعاً في الصميم. فقد كانت تتمنى طيلة حياتها أن تحظى بإنسان تحبه ويحبها لتصل إلى حياة زوجية سعيدة مثل حياة والديها. ولن ترضى بغير هذا.

رفعت رأسها وقالت: «نعم أنا أحبه.»

«وأنا سعيد لسماع هذا الأمر.» تأملها ببرود وتابع: «أنا مسرور لمعرفة أن ما يربطك به هو رابط أكبر من التمدن الذي ذكرته سابقاً.»

www.elromancia.com

«لقد قلت لك أن هناك رابطاً أكبر.»

«أتمنى لك السعادة. وأتمنى لك زواجاً يحقق لك أمانيك.»

«هذا ما أتمناه لك أيضاً.»

«زواجاً سعيداً؟»

«إن كان هذا ما تريد. كذلك أتمنى زواجاً مبنياً على الحب.»

إنتهى حوار التحدي بينهما عندما حدّق فيليب إليها، ثم ضحك. وهو يتكىء على الشرفة ويسألها: «كيف حالك مع جوليو؟»

كان بارعاً بتحويل الحديث. ووجدت نفسها تبتسم وهي تتأمله، فحديثها مع فيليب غير ممل على الإطلاق.

قالت: «إنه رائع. لقد علمني الكثير عن الدوتادو.»

«إنه رجل عجوز صالح. ولا يوجد معلم أفضل منه. فهو يعرف كل شيء عن الدوتادو.»

«هناك أمر يحيرني...» صمتت ليانا لتنظر إليه. «ما الذي دفعك لإرسال جوليو إليّ؟ لم أكن أتوقع منك حسن التصرف واللياقة هذا.»

ابتسم وقال: «هذا يبرهن لي أنك ما زلت تجهلينني. إنك لم تعرفيني بعد.»

فسألته بصدق: «وهل استطاع غيري؟ أنت إنسان غامض جداً.»

«هل هذا ما خيب ظنك بي؟»

«لم أقل هذا.»

«أنت على حق. فأنت لم تعترفي بضعفك.»

«ولن أعترف.»

لم يكن كلامها صادقاً، فهي قد شعرت بخيبة أمل عندما أكدت أنها غير قادرة على فهمه.

لا شك أنه إنسان يجمع تناقضات غريبة، منها الحسن، ومنها السيىء جداً، بعضها محبب والآخر بغيض جداً...

كان يتأملها حين ذكرته بقولها: «حتى الآن لم تخبرني لماذا أرسلت جوليو؟»

«لم أرسل جوليو. لقد طلبت منه الإهتمام بك فقط.»

حقاً. هذا ما قاله جوليو بالضبط. فقد تذكرت جملة جوليو، وتذكرت حماسته ودفاعه عن فيليب.

صاغت سؤالها بأسلوب آخر: «لماذا طلبت منه أن يهتم بي؟ هل كان هدفك أن تخيفني عندما اكتشف مدى جهلي بالعمل الزراعي؟»

دهش من تحايلها. «هل من السهل إخافتك وإرعابك؟»

«كلا.»

فنظر في عينيها: «إعتقدت هذا. «لقد فشلت، يا سنيوريتا، أما أنا فقد فهمتك جيداً.»

اطلقت ضحكة مغتصبة: «أهنئك. ولكنك لم تقل لي هذا الأمر في ذلك اليوم.»

«كنت متواضعاً في ذلك اليوم.» ثم تابع حديثه بينما كانت ليانا تقهقه: «كنت أريد تأدية خدمة لك عندما طلبت من جوليو الإهتمام بأمورك. كنت أتصرف بلياقة.»

«لا أصدق هذا أيضاً!»

«لماذا؟»

«ليس من عادتك أن تتصرف بلياقة، أو حتى أن تتكلم بصراحة ومن دون خداع.»

www.elromancia.com

«إذن أنت تعتبرينني مخادعاً؟»

أصبحت ليانا أكثر جدية في حديثها. «نعم، أعتبرك مخادعاً.»

أخذ يتأمل وجهها غاضباً. رفع أحد حاجبيه الغليظين وقال: «حسناً، كيف خدعتك، يا سنيوريتا؟»

«حسناً، في البداية لم تخبرني عن نلك.» رفعت ذراعها وأشارت إلى البيت والأراضي والحدائق المترامية حوله والتي تغطي آلاف الأفدنة. «كنلك فقد جعلتني أتصور أنك إنسان فقير.»

«أنا؟»

«لقد فعلت هذا. أجل خططت لهذا كلّه. إنها متعة عندك أن تضلل الناس.»

«إذن أنت تعتقدين أنني أتمتع بروح مرحة؟»

نظرت ليانا في وجهه بدهشة، فهي لم تفكر في هذا. مع أن الحقيقة هي أنها أحبت طريقته في مداعبتها، ولكنها عادت واستدركت الأمر قائلة: «لا بدّ أنك تتمتع فقط بتضليلي وخداعي.»

«لماذا تعتقدين أني أفعل هذا؟»

«لأنك لا تميل إلي!»

«ولمَ لا أميل إليك؟»

«لأنك تعتقد أني منقبة عن مناجم الذهب.»

تجهم وجهها للحظة ثم خطرت فكرة في بالها. «وهذه طريقة أخرى من طرق خداعك. كنت تريدني أن أفكر بك بنفس الطريقة، بأنك إنسان طماع وجشع، تسعى لاستغلال فرصة وفاة العمة غلوريا لتضع يدك على أراضي الدوتادو كلّها.»

«فهل غيرت رأيك الآن؟»

«كيف لي أن أصدق نلك الآن؟ وأنا أرى أمامي كل هذه الأراضي؟» نظرت تتأمل إمتداد الأراضي الشاسعة أمامها. «الدوتادو لا تعني سوى نقطة في بحر أملاكك. ولا أعتقد أنك تعرض نفسك للإنزعاج لتحصل على نصيبي من الدوتادو الذي لا يساوي شيئاً يذكر!»

لا يتصف فيليب بضيق الأفق، ولا بقصر النظر. هذا ما فكرت به، ولكن الأمور التي يقوم بها هي أمور تافهة.

لمعت عيناه الداكنتان، في ضوء القمر. «حسناً، فلماذا برأيك أسعى للحصول على الدوتادو؟ إن لم يكن السبب هو الطمع؟ ولماذا أحاول إبعادك عن هذا المكان؟»

فكرت ملياً: «لا أعرف. ربما لأنك تكرهني، أو كما قلت سابقاً، لأنك تعتبرني منقبة عن الذهب في المناجم.» خيم الصمت على المكان لفترة من الوقت. نظر إليها فيليب. مبتسماً وقال: «ولكنني لم أعد أعتبرك هكذا، والحقيقة أنه علي أن أوضح لك الأمر.» قال هذا، ومدّ يده ولمس وجنتها بلطف بأصابعه.

«إنني أصدق قولك بأنك لا تعرفين شيئاً عن عائلة والدتك. أعرف أن العمة غلوريا لم تخبرك شيئاً في رسائلها، حتى أنها لم تخبرك عن أنها كانت طريحة الفراش تنتظر أجلها.» لمس نقنها فأشعل ناراً في جسمها. «لا أعرف لماذا لم تخبرك؟ ولكن الذي أعرفه عنها، أنها كانت قادرة وغامضة في بعض الأحيان.»

«هل تعني ما تقول؟ إنك تصدقني؟» دهشت لشعورها بالإرتياح فهو لم يصرح لها عن رأيه بها حتى هذه اللحظة.

أوماً برأسه: «نعم أنا أعني ما أقول.» كانت أصابعه لا تزال تلامس ذقنها. «والآن، إرتاحي، فأنا لا أعتبرك منقبة عن مناجم الذهب.»

كان قلبها يخفق بقوة، ولكنها كانت تحاول جاهدة أن تبدو طبيعية. هذه الأشياء الغريبة التي تحصل، الحوار الجميل والقمر الساطع، ويد فيليب تداعب وجهها... كان عليها أن تصده وتبعده عنها. ولكنه نظر إليها وابتسم بلطف، ومال نحوها وقال: «أظن أن الوقت قد حان لأقول لك تصبحين على خير.»

كانت عيناه الداكنتان جمرتين تحرقان أنفاسها. شعرت بتدفق دمها في عروقها مما جعلها غير قادرة على الحركة. أغمضت عينيها بصمت. كانت قبلته سريعة حتى أنها ظنت نفسها تحلم. ولكن كان لهذه القبلة أثر كبير على أحاسيسها. أحست بإنفجار في داخلها. كانت تتمنى لو يأخذها بين ذراعيه، يضمها إلى صدره.

«تصبحين على خير ليانا.»

عندما انسحب، لم تعد قادرة على تمالك نفسها، فاتكأت على الشرفة.

«تصبح على خير،» حاولت أن تقولها، ولكنها لم تستطع. كانت مشتتة الأفكار، مبعثرة الأحاسيس. كانت كورقة ممزقة.

كيف شعرت بهذا الشوق الذي تملكها؟ إنه خطأ معيب أن تشعر هكذا! لكليف وحده الحق في تحريك أحاسيسها وشعورها. ولكن فيليب؛ فيليب هو.

قطعت أفكارها عندما رأته خارج الشرفة الفرنسية

الطابع وقد التفت ليختلس النظر إلى وجهها. فملأت كيانها أحاسيس أخرى. فجأة أدركت كل شيء... فجأة أصبح لكل شيء معنى.

أرادت ليانا أن تناديه ليعود إليها، ولكن قواها خانتها وتلبدت أحاسيسها. وهي تتكيء على الشرفة، كانت دائماً تشعر بأن هناك خطراً يحدق بها، والآن وقد عرفت الخطر أصبحت خائفة من نفسها.

لم تنم ليانا جيداً. استيقظت عدة مرات لتنظر إلى ساعتها، فهي تنتظر الصباح بشوق، كانت متأكدة من شعورها في الليلة الماضية ولكنها تريد أن تثبت ظنونها.

استيقظت باكراً، حوالي الساعة السابعة، فاغتسلت وارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً، كانت جوانيتا قد تركتهما لها في الليلة الماضية، أسرعت تنزل الدرجات إلى القاعة. إلتقت بخادمة شابة كانت تمسح الأرض الرخامية في الممرات وسألتها: «أين فيليب؟»

أجابتها باللغة الإسبانية: «إنه في الخارج.» هكذا فهمت من الجواب، ولكن ليس هذا مهماً بالنسبة لها. فهي لن تغادر البيت قبل رؤية فيليب.

مرّت ساعتان شربت خلالهما القهوة وتناولت بعض الطعام. ثم جاءت جوانيتا. كانت ما تزال ترتدي ثياب النوم. «لقد استيقظت باكراً، كنت أعتقد أنك ستنامين حتى الظهر.» توقفت عن الكلام عندما نظرت إلى تعابير وجه ليانا. سألت مستفسرة: «ما القضية؟ هل حصل شيء؟»

تداركت ليانا نفسها وتظاهرت بالبرود. إبتسمت وقالت:

«لا شيء على الإطلاق. ولكن، أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة.»

حاولت جهدها أن تتصرف بهدوء، وأن تخبىء العاصفة في داخلها. سردت لها جوانيتا بعض المعلومات، ثم أضافت وهي تصب لها القهوة: «ظننتك تعرفين.»

والآن ماذا ستفعل؟

بعد أن انصرفت جوانيتا، فكرت ليانا بالذهاب. كان السائق تحت تصرفها. فهو جاهز لأن يُقلّها إلى الدوتادو، ولم تكن بحاجة لرؤية فيليب. لأن جوانيتا أخبرتها وأجابت عن كل تساؤلاتها.

نهضت لتبدأ بتحضير نفسها للذهاب. صعدت لتودع جوانيتا ثم تحزم حوائجها بسرعة وتذهب قبل مجيء فيليب. فمن الأفضل لها أن لا تصادفه الآن، ولا حتى في المستقبل. ولكن ما ان أسرعت في الممر حتى أوشكت أن تصطدم بشخص طويل كان متوجهاً إلى طاولة الطعام. أمسك ذراعها ليخفف من سرعتها نظر إليها والسعادة تملأ وجهه.

«إلى أين أنت ذاهبة؟ ولمَ هذه العجلة؟»

«إلى البيت!» حاولت أن تتحرر منه. «بعيداً عنك!»

لم يفلت يدها. «هل من سبب خاص؟»

«سبب وجيه. فأنت إنسان كاذب ومخادع، وأخيراً، فقد اكتشفت حقيقتك!»

«أية حقيقة هذه؟»

«أنت لست إبن خالي! وليس لك أية صلة قربى معي! هيّا أنكر هذا هل تجرؤ؟»

نظرت العينان الداكنتان إليها. كانت يداه ما تزالان تمسكان ذراعها بقوة.

«كلا. فأنا لست ابن خالك ونحن لسنا أقرباء.» شدّها بقساوة نحوه. «فماذا تقترحين بهذا الشأن؟»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

كان فيليب يمسك ليانا وكأنه يمسك لعبة من قماش. كان يبدو وكأنه سيرفعها، ويحملها على كتفه، ثم يقودها إلى مكان مجهول. ما هذه التمثيلية التي تعرضت لها؟ كانت ليانا مرتبكة لا تدري ماذا تفعل.

لمعت عينا فيليب، ثم أعاد طرح سؤاله: «هيا، يا سنيوريتا، أخبريني، فأنت الآن تعلمين أننا لسنا أقارب. ما الذي تقترحينه بهذا الشأن؟»

«اقترح؟ أقترح ماذا؟» حدقت ليانا فيه. كانت تحاول جاهدة الإفلات من قبضته. «لا أقترح عمل شيء يذكر! كل ما في الأمر هو أنني غاضبة لأنك لم تقل لي الحقيقة منذ البداية!»

«لماذا؟ وما الفرق في هذا؟» تأملها بعينين مشتعلتين. «هل كانت علاقتنا ستتحسن لو عرفت منذ البداية أن والدي لم يكن شقيق والدتك؟»

«كلا، بالطبع لا! كل ما أريد قوله هو أنك لم تصارحني بالحقيقة منذ البداية!»

«ما الغريب في هذا؟ ألهذا أنت متكدرة وغاضبة؟ هل لأنني لم أصارحك فقط؟»

«نعم،» حاولت جاهدة أن تبقي عينيها في عينيه.

لمعت عيناه بسرور. «سنيوريتا، أنا لا أصدقك.»

«وماذا تريد غير هذا السبب؟»

«هذا شأنك، وليس شأني. فأنا لا أستطيع أن أقرأ أفكارك أو أعرف مايجول بفكرك.»

«لا أفكار غريبة.» كان قلبها يخفق. حاولت بعنف أن تسحب ذراعها غاضبة. «أترك ذراعي في الحال من فضلك!»

هزّ فيليب كتفيه ثم أطلق سراحها. «ها أنت ذا حرة الآن.» ابتسم وقال: «أنت حرة تستطيعين أن تفعلي ما تشائين!»

شعرت ليانا بإنزعاج في داخلها. خطت خطوة وابتعدت عنه. «ماذا أفعل؟ الأفضل لي أن أغادر هذا المكان! وهذا بالضبط ما كنت أقوم به قبل أن تعترض طريقي. لو سمحت! دعني أذهب!» إبتسم لغرورها. كانت على وشك أن تبتسم عندما قال: «لن أمنعك. هيا تابعي طريقك.» ووقف ليفسح لها الطريق. وراقبها وهي تجري نحو الدرج في طريقها إلى غرفتها لتجمع ثيابها.

«ولكن هناك مشكلة واحدة...»

وقفت ليانا على الدرجة الأولى، ثم التفتت لتنظر إليه: «ما المشكلة؟»

«حسناً، ليس الأمر مشكلة بقدر ما هو إشكال بسيط.» أراد أن يضايقها، ويعذبها بإثارة رغبة ما في داخلها. كان يتمتع بأسلوبه هذا. تنفست ليانا بعمق لتسيطر على مشاعرها وقالت: «ما الذي تتكلم عنه بالضبط؟»

توجّه فيليب نحو الدرج، ومال يتكيء على الشرفة، ثم ابتسم إبتسامة أثارت غضبها. «أنا أتكلم عن طريقة مغادرتك هذا المكان!»

«بواسطة السيارة، طبعاً، مع سائقك.» كانت تحس بثورة في داخلها، كانت تتمنى أن تضربه!

«آه، هذه هي المشكلة...»

حدّقت ليانا فيه ولم تقل شيئاً. لن تفسح له مجالاً لممازحتها.

«وهكذا،» تابع، بينما ليانا تنتظر، «سائقي ليس هنا الآن ليقلك إلى الدوتادو. ولسوء الحظ، فقد أرسلته في مهمة أخرى.»

«كما توقعت، فأنت تسعى لمضايقتي! لقد كنت تعرف أني أعتمد عليه في إيصالي إلى الدوتادو.»

تجاهل كلامها وتابع: «هناك حل لهذا الموقف. فسأقلك بسيارتي عندما انتهي من مهمتين صغيرتين هنا.»

«هكذا إذن! فأنا سأنتظر رهن إشارتك!» اشتعل الغضب في داخلها. كانت تفكر بالهرب منه، ولكنه استطاع أن يأسرها، ويجعلها سجينته. «أراك سعيداً؟»

هزّ رأسه نافياً. «ليس أكثر من العادة.» كان يزداد غبطة كلما ازدادت غضباً.

«هل أنت في عجلة من أمرك...؟ هل عندك موعد ما؟

نظرت إليه بغضب. «هذا ليس شأنك. فأنا لا أحتاج سبباً أتحجج به للذهاب إلى بيتي.»

قالت كلامها دون أن تفكر، ولم تكن هي المرّة الأولى التي تلفظ فيها كلمة بيتي بشكل طبيعي. فقد نسيت، للحظة، كل المضايقات التي يسببها لها فيليب بسبب هذا البيت. تعجبت من نفسها كيف أنها، وبهذه السرعة، أحست بأن هذا المكان هو بيتها بالفعل.

«لن أتأخر. سأجري بعض المكالمات الهاتفية.» خرج وهو ينظر إلى ساعته. «وسأكون جاهزاً للذهاب بعد خمس وأربعين دقيقة.»

بعد نصف ساعة، عاد فيليب، كانت ليانا تتحادث مع جوانيتا، وكانتا جالستين على الشرفة، تشربان شراباً بارداً. وسألها فيليب: «هل أنت جاهزة...؟»

«لا تنسي وعدك بزيارتي قبل مغادرتك،» ذكرتها جوانيتا عندما كانت تودعها. «لن أسامحك إن لم تقومي بزيارتي.»

«آه، لن أنسى بالطبع،» أكدت لها ليانا ذلك وهي تصعد إلى الرانج روفر. «لا لن أسافر إلى لندن دون أن أزورك.»

كان فيليب يدير المحرك، عندما اختلست ليانا النظر إليه وهي تغلق باب السيارة. لقد عرفت ما يجول في رأسه، إنه يتساءل: عن سبب إصرارها على الذهاب إلى البيت، وبسرعة...

لم يقل هذا، حتى أنه لم يتلفظ بكلمة واحدة خلال سيرهما في الممر الذي يقود إلى الطريق الرئيسي المؤدي إلى الدوتادو. بماذا يفكر؟ هل يريد أن يقطع الرحلة كلها صامتاً؟ هل يتهرب من المناقشات؟

لم تتحمل البقاء صامتة. نظرت إليه، كان في جعبتها أسئلة كثيرة لتطرحها عليه. ولم يعجبها أن يبقى صامتاً. فهي تريده أن يجيبها عن كل تساؤلاتها.

كان رأسها مشوشاً بأفكار مختلفة. شعرت وكأنها في قفير نحل. ستجعله يدفع الثمن، ستسأله وتسأله حتى تشوش أفكاره. تريد إزعاجه ومضايقته، تريده أن يفقد توازنه ويثور.

كانت السيارة تمر بسرعة عبر الأراضي الزراعية المترامية على جانبي الطريق بحقولها وأشجارها وتربتها الحمراء.

قالت ليانا: «في الليلة الماضية قلت لي انني لم أعرفك بعد! هل كنت تقول الحقيقة؟ فانا لم أستطع معرفة مدى صدقك؟»

فقال دون أن تطرف له عين: «حقاً؟»

«كيف أستطيع أن أتبيّن صحة كلامك الغامض والمخادع؟» كانت تعرف أنه إنسان مليء بالتناقضات، شقيق رائع لجوانيتا ورب عمل ذكي وبارع. هكذا اعترف جوليو. وفي أغلب الأحيان، يكون مرحاً وجذاباً. وهذا الرجل نفسه، جعل العمة غلوريا تعاني من مشاكل المزرعة من دون أن يعاونها. وهو نفسه من خدع ليانا بجعلها تصدق أنه ابن خالها.

قررت ليانا أن تضع حداً لهذه الفوضى التي سببها فيليب. تنفست بعمق وقالت: «كنت أعتقد أنك كنت تنادني سنيوريتا، بدافع كرهك لي.» نظرت إليه لترى ردة فعله وأضافت: «الآن عرفت أنها كانت طريقة لإبعاد المسافة بيننا.»

تلاقت نظراتهما «حسناً، تحليلك ليس صحيحاً.»

أشاحت ليانا بنظرها عنه. «إذن، ما الهدف من ذلك؟»

«كان من الطبيعي أن أحادثك هكذا لأنني كنت أعرف أنك لست إبنة عمتي.»

نظرت ليانا مجدداً. «لِمَ اخفيت عني الحقيقة؟ ولماذا كلفت نفسك الإحتفاظ بهذا الأمر سرّاً...؟»

«لم يكن سراً. كل ما في الأمر، أنني قد حذفت هذا الخبر من حديثي.» نظر نحوها بعينيه السوداوين وأضاف: «لم أر أنه كان من الضروري أن تعرفي.»

«أعتقد أنه كان ضرورياً!»

«لماذا؟ ما الفرق؟ وما الذي يسيىء إليك؟»

«لم أقل أن هناك إساءة لي!» شعرت بضيق من سؤاله هذا، فهو يستخف بها، يحاول تحطيمها. إتهمته قائلة: «إنه شيء غريب أن تحذف أشياء أساسية من حديثك، حتى أن جوانيتا تعجبت لهذا الأمر! كانت تعتقد أنني أعلم القصة.»

لقد كانت قصة بسيطة جداً، فقد تزوج خال ليانا، والدة فيليب بعد وفاة زوجها، والد فيليب، كان فيليب في الثامنة من عمره عندما أصبح ابن خال ليانا.

لاحظت ليانا شيئاً، وقالت: «شاءت المصادفة أن تحمل نفس اسم عائلة والدتي. فزوجا والدتك كانا يحملان اسم «ماندیز.»

قال فيليب: «حقاً إنها لمصادفة غريبة. مما ساعد على توثيق العلاقة بيني وبين جوانيتا، حتى أنني لم أفكر لحظة بانها أختي من غير أبي.»

«ولكن المؤسف أنك لم تشعر بهذه القرابة تجاه العمة غلوريا والتي اعتبرتك ابن أخ فعلي!»

«كنت أشعر بأنني قريب منها جداً، وكنت أعاملها كعمتي.»

«لهذا أهملتها؟ ولم تهتم بأمورها؟ لهذا تركتها تكافح وحدها لتحافظ على المزرعة؟ عملت جاهدة طوال سنوات لم تمد لها خلالها يد المساعدة!»

«لم أتركها تكافح لوحدها.»

«آه، بلى، لقد تركتها! هل نسيت كلامك لي؟ فأنت الذي قلت أنك لم تبق بقربها إلا في السنتين الأخيرتين!»

«لا، لم أنس!» والتفت ينظر إليها. كانت عيناه الداكنتان مليئتين بإنفعالات عاطفية، بالأسى، بالحزن. «لم أساعدها قبل ذلك لأنني لم أكن أعرفها.»

«ما هذا؟ أنا لا أصدقك!»

«حتى أنني لم أعلم بوجودها.»

نظرت في عينيه. كانتا تشعان صدقاً. شعرت ليانا بأنه صادق، ولكنها قالت: «وكيف ذلك؟»

تنفس فيليب بعمق وحوّل نظره عنها. «كان السبب بسيطاً. عداء عائلي!» أضاف بعد فترة صمت: «كان هناك عداء بين خالك وزوج تياغلوريا، لم أعرف سبب خلافهما. كل ما أعرفه أنهما تخاصما لسنوات عديدة. نشأت وشقيقتي جوانيتا بعيداً عن الخلاف حتى أننا لم نعرف بوجود العمة غلوريا وزوجها. بعد وفاة خالك، عرفت بوجودها صدفة وكم تأسفت لأنني لم أعرفها من قبل! فقد كان حبي لتلك السيدة كبيراً.»

صمتت ليانا، وأخذت تفكر بما أخبرها. ثم قالت بصوت منخفض: «كان ذلك في الوقت الذي بدأت فيه مساعدتها.»

«كنت أتمنى لو استطعت مساعدتها قبل ذلك. فقد كانت تصارع الموت عندما تعرفت إليها.» خيم جو من الحزن والندم عليهما، وفجأة ضرب فيليب بقبضة يده على المقود بعنف. «ربما لو سنحت لي الفرصة قبل ذلك بمساعدتها في عمل المزرعة، ربما كانت عاشت أكثر؟»

«لقد فعلت ما بوسعك.» كانت ليانا متأكدة من كلامه. ولكنها تنكرت فجأة الأراضي التي يملكها، والتي كانت مساء البارحة مترامية أمامها على مسافات شاسعة.

كانت ما تزال تسأل نفسها عن السبب الذي يجعله يحارب ليفوز بالدوتادو. وهو الذي يملك تلك الأراضي التي لا تحرقها النيران. ولهذا، فهي، وحتى هذه اللحظة، ما زالت تعتبره ابن أخ مهمل قاسي القلب. ترك عمته تكافح وحدها حتى غلبها المرض. هذه هي الحقيقة حتى الآن. إنها غلطته. فهو، بأعماله وتصرفاته، دفعها لأن تكوّن تلك الفكرة عنه. صمتت، ثم قالت له: «أنت جعلتني أعتقد أنك أهملتها ولم تساعدها. لماذا لم تشرح لي الأمر؟»

«لم أجد الأمر مهماً لأشرحه لك، ولا لأي شخص آخر.» حرّك قبضته مبدلاً السرعة في السيارة بعنف، ليخفف سرعتها عند منعطف ظهر أمامه فجأة. «هذا يرجع إليك. إن كنت تريدين أن تصدقي أم لا.»

أحست أنها سخيفة لإتهامه بتهمة دون أن يكون لديها أي إثبات. «أنا آسفة، أنا حقاً آسفة.» كان اعتذارها صادقاً صادراً من القلب. لقد شعرت بخجل لأنها أخطأت في الحكم عليه.

لكن فيليب لم يهتم لإعتذارها. نظر إليها وقال: «لا تهتمي، إنسي الأمر.» ثم أضاف بنبرات خشنة جافة: «فلا أهمية عندي لما تكوّنين من أفكار عني.»

طبعاً، هو لا يهمه شيء. كانت تدرك ذلك. كان جوابه قاسياً كطعنة سكين في قلبها.

كانت ردّة فعلها سخيفة وقد لامت نفسها. فلزمت الصمت طيلة الوقت الباقي حتى وصولها إلى الدوتادو. عليها أن تتعود على مهاجمته الدائمة لها منذ الآن فصاعداً.

أحست بارتياح عندما لاح لها البيت والمزرعة من بعيد.

حاولت التماس حاجاتها ووضعت يدها على قبضة الباب، وهما ما زالا في منتصف المسافة في الممر المؤدي إلى البيت.

عندما توقف، قالت ليانا: «شكراً.» فتحت الباب واستعدت للقفز من الرانج روفر. «أتمنى أن لا أكون قد أزعجتك.»

توقعت ليانا أن يدير المحرك، ويغادر المكان. وكانت تتمنى أن يفعل هذا، ولكن، لسوء حظها، أطفأ محرك السيارة. وقال لها دون أن ينظر نحوها: «أودّ الدخول للحظة.»

شعرت بقلبها يقف عن الخفقان. «كنت أعتقد أنك على عجلة من أمرك؟»

دفع باب السيارة وترجل منها، ثم أغلق الباب واتجه نحو الباب الرئيسي سالكاً الممر بشموخ.

فقال فيليب: «أولاً، أريد كأساً من الشراب.»

تبعته ليانا، بينما كان قلبها يتخبط بأحاسيس مختلفة. كراهية، ندم، غضب، أسف. كانت تريد أن تبقى وحدها. لماذا يريد مضايقتها؟

في الوقت الذي وصلت فيه ودخلت غرفة الجلوس، كان فيليب قد سبقها وقدّم لنفسه علبة شراب من الثلاجة.

إنتزع غطاء العلبة ورماه في صحن السجائر ثم رفع علبة الشراب إلى فمه. «أرجو أن لا تمانعي في أن أقدم لنفسي شراباً بارداً.»

«كلا، لا أمانع. ويمكنك إضافة بعض الثلج إذا كنت ترغب في ذلك.»

«لا، شكراً. فانا أفضلها من العلبة.»

طبعاً، فهي تعرف أنه يحب أن يقوم بأعمال تزعجها، وتصرفات تشمئز منها.

رمت ليانا حقيبتها على الكرسي. تأملته وهو واقف ووجهه متجه نحو النافذة. صمت لفترة من الزمن، ثم نطق أخيراً: «متى سترحلين؟»

كادت ليانا تنفجر ضاحكة. فهذا هو السؤال الذي كانت تنتظره عندما ودّعا جوانيتا، واستقلا السيارة. هل كان يضغط على نفسه ويحتفظ بهذا السؤال طيلة الوقت؟ الوقت الذي استغرقته الرحلة إلى الدوتادو؟ هذا التصرف ليس غريباً عليه.

جلست على الأريكة وهي تبتسم بسخرية. «عندما أقرر.» أجابته بإيجاز: «ولم أقرر بعد!»

«حسناً، عليك أن تقرري قريباً، فانت تضيعين وقتك هنا. عودي إلى لندن.»

«ساعود...» صمتت وانتظرت حتى التفت إليها. «ساعود... عندما يحين الوقت الذي أراه مناسباً.»

وضع علبة الشراب على طاولة بقربه وقال: «سنيوريتا، لقد حان الوقت المناسب لذهابك.»

لم تستطع رؤية عينيه، كان ظهره إلى جهة النور، لذا غطاها الظل. ولكنها شعرت بسيطرتهما عليها. أحست بجسمها يرتعش رهبة وغضباً.

«لا تحاول أن تقول لي ما عليّ أن أفعل.» شعرت بثقل يضغط على أضلاعها، أحست بجفاف في حلقها. ولكن صوتها ظل واضحاً وقوياً عندما أضافت: «سأبقى هنا حتى أجد سبباً يدفعني للذهاب.»

«لديك سبب الآن.» خطا نحوها، ثم توقف ليقول: «أنصحك بعدم البقاء هنا.»

لا شعورياً، ضغطت ليانا بأصابعها على جانبي الأريكة، شعرت بدمها يغلي في عروقها. قالت، وقد أصبح صوتها فجأة هادئاً: «لا أحتاج إلى نصائحك.»

«أنت على حق ربما...!» كان ما يزال واقفاً في مكانه. نظرت ليانا إليه. كانت عيناها تشتعلان غضباً. «أؤكد لك أنني لست بحاجة إلى نصائح أحد. فأنا أدرى بمصلحتي.»

هزّ كتفيه العريضتين. شعرت بعينيه تتأملانها. «وهل تحتاجين شيئاً غير النصيحة...»

ازداد غضبها. بدا وكأنه يتقدم نحوها مع أنه لم يتحرك من مكانه. تمنت لو تقف وتواجهه.

ولكنها شعرت وكأنها ملتصقة بوسائد الأريكة. وتابع كلامه: «ربما تحتاجين لمزيد من الإقناع!»

إقناع؟ إقناع؟ جالت الكلمة في رأسها. تحرك من مكانه فأصبحت قادرة على رؤية عينيه ونظرت إليهما، فأحست بأنها تستسلم أمام قوة نظراته. لم تعد قادرة على الحركة. عمّ الصمت المكان. لا حركة! لا صوت! شعرت بتوقف تنفسها.

شعرت بالعينين اللتين تأسرانها، واشتد سوادهما، وقفز قلبها من مكانه. فهي تعرف ما سيحدث. إقترب منها ووصل إليها. أمسكها وسحبها من مكانها، ومن دون أن تقاوم.

مالت نحوه، وارتمت بين ذراعيه. أحست بقوته. قوة جميلة لا تقاوم. أحاطت عنقه بذراعيها. فقلبها كان يريده. كاد جسدها يتفجر. إنه يرتعش، مال نحوها هو أيضاً.

هبت عاصفة قطعت أنفاسها وهزت كيانها. خارت قواها، وضعفت إرادتها. إنبعثت منها قوة جديدة، قوة لم تعرفها من قبل.

تملكت منها هذه القوة وسرت في جسدها... إنها القوة التي حركت روحها وأنعشتها... إنها قوة الوجود بل قوة الحياة! شيء ما استيقظ في داخلها. رغبة جامحة، وعاطفة قوية. لم تقاوم، فهي لم تكن تريد أن تردعه. لطالما انتظرت هذه اللحظة. تمنت أن تسلمه روحها وجسدها.

لفّ فيليب ذراعيه حولها، مما زاد كمية الدم المتدفقة في عروقها. وفجأة تأوهت تحاول الإفلات منه.

«آه، فيليب! فيليب!»

رفع يديه ليداعب شعرها بأصابعه. لم تشأ أن تردعه أو أن تهرب منه.

لقد ألهبتها مشاعره. كانت تشعر بأنفاسه تحرق جلدها الملتصق به. كل شيء فيها كان يحترق، يلتهب. كانت تشعر بجسدها يذوب، ولكنه إحساس ممتع، لذيذ، لم تعد قادرة على السيطرة على الرغبة الجامحة التي اجتاحتها.

خافت أن يبتلعها هذا الحلم المفترس. حاولت الإبتعاد. لكن فيليب أمسكها بمعصمها وضغط بقبضته عليه وقال بعنف: «والآن هل فهمت لماذا عليك أن تغادري هذا المكان؟» كانت عيناه الداكنتان مليئتين بالقسوة والغضب. «الآن عرفت لماذا يجب عليك مغادرة هذا المكان وبسرعة.»

تركها ودفعها بعيداً عنه متابعاً: «أنت امرأة رجل غيري، وليس من عادتي أن امتلك ما يخص غيري! ولكن إذا واصلت إغوائي، فسأغير عادتي هذه. فاذهبي حالاً، يا سنيوريتا، عودي إلى لندن. عودي في الحال.»

خرج من الغرفة وتركها لاهثة غير قادرة على الحركة.

الفصل التاسع

عند الظهر، وفي وقت الغداء، مرّ جوليو لاصطحابها. كانت قد استجمعت قواها، ووجدت عذراً لما حدث معها منذ وقت قصير.

فيليب رجل ترغب فيه كل امرأة. وما حصل معها كان بدافع الغريزة الأنثوية. لقد تجاوبت معه ولكن كل ما فعلاه، ما هو إلا تبادل بعض العواطف. كان يمكنها أن تمنع حدوثها، ولكن لا خطر منها. فيليب غير قادر على امتلاك ما يخص غيره. وما يزال كليف الرجل الذي تحب، الرجل الصادق المخلص والذي يحبها.

لقد أجبرها فيليب على عمل كانت تكره القيام به. سيطر عليها بجانبيته، عرفت أن هناك قوة جمعت بينهما. ولكنها لم تستطع أن تسلم بهذا الأمر، كذب عليها، وجعلها تصدق كلامه وها هي ذي تقع من جديد في شرك عاطفي.

لقد ملأ قلبها كرهاً له بروايته المزيفة عن علاقة القربى بينهما، وطريقة معاملته السيئة للعمة غلوريا. ولكن هذه الأكاذيب كانت بمثابة حاجز جعلها تبقى على برّ الأمان.

ولكنها قاومت بشدة التعلق بهذا الحاجز عندما بدأ فيليب بتحطيمه. هناك حقيقة لا تستطيع نكرانها، فهي التي اتخذت صلة قرابتها كحاجز بينهما. فالمتعارف عليه أن الزواج بين أولاد الخال أمر غير طبيعي. كانت تحاول الإختباء وراء هذه الحقيقة لأنها منذ البداية تأثرت بجاذبية فيليب.

والآن، وقد زال هذا الحاجز، فأين تختبىء؟ من المؤكد أن حبها لكليف سيحميها من فيليب. ولكن، لماذا كانت مهتمة بمعرفة صلة القرابة مع فيليب؟

ذهبت ليانا مع جوليو إلى حقول الذرة. كانت مضطربة ومشوشة الأفكار. لقد كانت قاسية بالحكم على نفسها، فهي في النهاية إنسان من لحم ودم، وبعيدة آلاف الكيلومترات عن خطيبها، وفيليب رجل جذاب جداً. فكيف تقاوم! إنها ليست من حجر!

ولكن عليها أن تكون حريصة من الآن وصاعداً. فقد تكون هذه طريقة جديدة من طرق تخويفه لها، لقد استعمل سلاح العنف والقوة في البداية. وها هو ذا الآن يستعمل سلاح الإغواء والجاذبية. عليها أن تحذره وتبقى بعيدة عنه. فجأة شعرت وكأن جوليو يطرح عليها سؤالاً. استطاعت بصعوبة جمع أفكارها، فقد نسيت وجود جوليو معها. قالت للرجل العجوز: «أنا آسفة، لم انتبه لسؤالك!»

إبتسم وكرّر كلامه. فقد كان يقترح عليها أن يتوقفا عند مطعم بالقرب منهما. وهذا المطعم، يقدم الطعام لعمال المزرعة، وقد أراد جوليو أن يقدم إلى ليانا فنجاناً من القهوة.

حاولت أن تبتسم. «حسناً، لنذهب.»

ولكن، ما أن دخلا حتى تملكها الذعر من جديد. فالإبتعاد عن فيليب ليس أمراً سهلاً. فقد كان جالساً هناك، يرتشف القهوة.

مرّ يومان بدأت تشعر فيهما بالراحة والإطمئنان. فهي لم

تر فيليب خلالهما. ثم وصلتها رسالة من المحامي تطمئنها وترشدها إلى سبل تستطيع بها الحفاظ على الإرث.

كتب لها كارينو في نهاية الرسالة: «تعالي إلى مكتبي صباح يوم الخميس، وسأشرح لك الحلول المناسبة لحل المشكلة بالتفصيل.»

قادت سيارتها صباح يوم الخميس متجهة إلى ترانك لاكان، وكانت تعي التغيرات التي حصلت معها.

في البداية، كان السبب الرئيسي لكفاحها من أجل الاحتفاظ بالدوتادو هو معارضة فيليب والتغلب عليه، ولكنها الآن بدأت تحب هذا المكان، ومن الصعب أن تعيش بعيدة عنه.

غادرت مكتب كارينو مسرورة وكانت متفائلة فقد عرض عليها حلولاً صعبة، ولكنها كانت واثقة من النجاح. ما يلزمها هو الإصرار والعناد.

تناولت غداءها في الماتادور، المقصف الذي توقفت فيه في الزيارة الماضية لتناول غدائها. ولكن، هذه المرّة تمتعت بتناول شراب لذيذ وشرائح اللحم دون إزعاج فيليب.

بعد الغداء ذهبت إلى مكتب الهاتف آملة أن تزف أخبارها إلى كليف، ولكنها لم تجده. فقد أخبرتها السكرتيرة بأنه سيكون خارج المكتب طيلة النهار. تركت له رسالة تخبره بأنها ستتصل به مرة ثانية، وأكدت عليها تبليغه حبها.

ذهبت في جولة في البلدة. كان وقت الظهيرة والمحلات مقفلة، ولكنها تمتعت بالنظر إلى الواجهات والتعرف على معالم البلدة.

عادت إلى سيارتها المتسوبيتشي، وبدأت رحلة العودة إلى الدوتادو. كانت مسرورة. ولاحت لها بشائر بقرب حل مشاكلها.

ولكنها كانت مخطئة. لقد بدأت مشاكلها الآن! وها هي ذي سيارة الرانج روفر متوقفة أمام بيتها. خُيل إليها أنها ستجد فيليب في غرفة الجلوس وبيده علبة شراب باردة.

كان واقفاً، ولكن كان الشراب في كأس! هل بدأ يغير تصرفاته؟

إبتسم فيليب عندما رآها، تلك الإبتسامة التي أغوتها، وهدئت تحصيناتها الدفاعية. «أخيراً، اعتقدتك لن تأتي.»

«هل أنت هنا منذ فترة؟»

كان كلامها جافاً، ولكنها الطريقة الوحيدة لاخفاء انفعالها. ففي اللحظة التي نظرت فيها إليه، أحست بعاصفة هوجاء تجتاح أحاسيسها وتشتتها من جديد. لم تعرف ما هو هذا الشعور الذي حرّك أحاسيسها حتى شعرت بروحها تبكي.

حاولت إبعاد هذا الشعور عنها. نظرت في كأس الشراب في يده وقالت: «أرى أنك تتصرف وكأنك في بيتك!»

«إنني أعرف أنك لا تمانعين! أعرف كرمك وحسن ضيافتك!» سرّح بنظراته فوق جسدها مما جعلها ترتعد خوفاً. «سأجيب عن سؤالك الأول. أنا هنا منذ حوالي الساعة تقريباً.»

شعرت بإرتباك، نظراته تحيرها. ابتعدت عنه والتفتت إلى النافذة الفرنسية الطابع. ها هي ذي من جديد غير قادرة على تمالك نفسها والصمود أمام إغوائه.

«أحتاج إلى شراب. فأنا أشعر بالظمأ.» مشت باتجاه الثلاجة وهي مسرورة لأنها وجدت عذراً للإبتعاد عن أنفاسه.

ناداها قائلاً: «هناك الكثير من علب الشراب... لقد أحضرت معي صندوقاً.»

تجاهلته ليانا وصبت كأساً من عصير البرتقال. لقد أحضر صندوقاً من الشراب. هل ينوي المكوث عندها ليأخذ كفايته من الشراب.

عادت إلى الشرفة، وجلست على كرسي مصنوع من القصب. كان فيليب يجلس على كرسي مواجه لها. «هل لي أن أعرف سبب هذه الزيارة غير المتوقعة؟»

إبتسم، وهو يتأمل وجهها، أخذ جرعة من الشراب. «هل يجب أن يكون عندي سبب؟ ألا يمكن أن يكون دافع قدومي هو أنني لم أعد أتحمل البقاء بعيداً عنك؟»

كان تعبيره بارداً. نظرت إليه ليانا نظرة قاسية، صمتت، ولكنها كانت غير موافقة على كلامه. تابع كلامه: «أو ربما لأنني أردت أن أستعيد لحظة افتراقنا...»

«أنا أذكرك، كنت تمشي نحو الخارج لحظة افتراقنا، لقد كانت نهاية جيدة.»

إبتسم عندما لمح تورد وجنتيها. «نهاية؟» نظر في عينيها «ألم تعتبري ما حصل فصلاً من الرواية؟»

تجمدت أصابعها حول كأس العصير «بالطبع لا،» حدّقت في وجهه. «لماذا أتيت؟ أتمنى أن لا يكون الهدف الذي زعمته.»

«تتمنين! وكأنك تحذرين...»

«لم أعد أحتمل أي نوع من هذه التصرفات الغريبة.»

«تحتملين؟» إبتسم فيليب ونظر إليها. كان يبدو مرحاً، مدّ رجليه بكسل، ثم رفع كأسه ورشف منها وهو يتأملها.

«تحتملين؟ أنت قلت هذه الكلمة» تلفظ بها بتأن ثم قال يذكّرها: «فيليب...! فيليب...! هل نسيت كيف كنت تتأوهين وتتلفظين باسمي؟ هل هذا ما تسمينه احتمال؟»

أحست ليانا بالحرارة في وجهها. لماذا يذكرها بما حصل في ذلك اليوم؟ نظرت في كأس العصير وتمنت لو تغرق فيها أو ترميها في وجهه.

قالت بصوت بارد: «لماذا أتيت؟ لتمتع نفسك بتحقيري؟ أو لتطلب مني مرة أخرى أن أرحل؟»

لم يجب. تأملها للحظة ثم تكلم بنبرات غريبة: «كلا، فقد أتيت بحلول مناسبة.»

«حلول؟ ماذا تعني؟»

«أجل، بعد تفكير طويل توصلت إلى حل يخلصك من مشاكلك. حل يوصلك إلى مرادك مع المحافظة على حياتك ومستقبلك في إنكلترا.»

دهشت لسماع كلامه. حاولت أن تسأل، ولكنها أرغمت نفسها على الصمت، قررت أن تتركه يتكلم، يقول ما عنده أخذت جرعة من كأسها. «من الأفضل أن ترشدني إلى ذلك الحل.» وضع ساقاً فوق الأخرى قبل أن يبدأ بالإجابة. أثار دهشتها عندما قال: «سأشتري منك إرثك.»

«تشتري إرثي؟»

«نعم سأشتريه، وبسعرٍ مغرٍ.»

شعرت ليانا بحيرة. «ولماذا تفعل هذا؟ لقد بدا لي منذ

فترة أنك قادر على أن تضع يدك على نصيبي دون أن تدفع فلساً واحداً.»

«لقد غيرّت رأيي، فكرت أنه ليس من العدل أن أحرمك من وصية العمة غلوريا التي تمنت أن تنتفعي من الإرث. ولكن شروطها كانت صعبة، لذلك، من الأفضل لنا أن نصل إلى اتفاق مالي.»

لقد أوجد حلاً، ولكنه أخطأ بالحكم عليها.

قالت ليانا: «لا أريد أن أبيع.»

«مهلاً، مهلاً!» إبتسم فيليب إبتسامته المعهودة. «لا تتسرعي. لم نناقش التفاصيل بعد.»

«لا أريد مناقشة أي أمر. فأنا لا أريد أن أبيع.»

لم يصدقها. وتابع كلامه: «سأجهز لك الثمن خلال يومين.»

نظرت إليه بارتياب، فهو يريد الدوتادو مهما كان الثمن، وقد استعد لدفع مبالغ طائلة. هل تساوي الأرض أكثر من ثمنها الحقيقي؟ ربما فيها آبار نفط أو مناجم ذهب؟

قالت مؤكدة له: «إنك تضيع وقتك، فكما قلت لك، ليس لدي رغبة في البيع.»

نظر إليها مساوماً. «سأرفع السعر.» ونطق برقم خيالي.

«لا تكوني جشعة، هذا أقصى حد لسعر هذه الأرض.»

رمقته بنظرات قاسية كالفولاذ. «الطمع ليس من خصائصي، ولا أريد أن أبيع. فالبيع ليس من ضمن خططي.»

«وما هي خططك؟» لم يكن مسروراً فقد خيبت أمله.

«أنا أخطط للبقاء هنا.» صمتت، ثم قررت أن تقول له عن

www.elromancia.com

الإتفاق بينها وبين كارينو الذي تم هذا الصباح فقالت: «قال لي المحامي: إنه سيجد الحل المناسب!»

فقال بذعر: «لتبقي هنا؟ هل تنوين الإنتقال إلى هنا بصورة نهائية؟»

لقد جرحها في الصميم، نظرت إليه وقالت: «كلا، لا أنوي الإنتقال إلى الدوتادو، حنيني الحقيقي ومستقبلي كما تعرف، في لندن. ولكني أفكر بتنظيم وقتي بشكل أستطيع من خلاله زيارة الدوتادو لبضعة أيام في كل شهر، وهكذا أستطيع أن أساهم في إدارة شؤون المزرعة.» شعرت بإرتياح ورضى، وضعت كأس العصير على الطاولة المصنوعة من القصب. «لقد أخبرني السنيور كارينو بأن هذا التدبير يوصلني إلى الحل المناسب.»

لم تكن ردة فعل فيليب كما توقعت، فقد انفجر ضاحكاً رامياً رأسه إلى الوراء. «هل تريدين أن تقضي معظم وقتك في الطائرة من الأرجنتين وإليها عبر المحيط الأطلنطي، وذلك لتحافظي على ملكيتك؟»

«هذا بالضبط ما أنوي فعله.»

«إذن لا بد أنك مجنونة، فكل أرباحك ستطير في الهواء لأنك ستدفعينها لشركات الطيران.»

«أعلم أن هذا التدبير سيكلفني نفقات كبيرة، لقد فكرت بهذا الأمر ولكن المسألة تستحق التضحية.»

تغيرت تعابير وجهه مرة أخرى. «ما الذي ترمين إليه؟» رفع حاجبيه السوداوين. «كلامك هذا لا مغزى له ولا فائدة منه، وخاصة ان هناك بديلاً وهو العرض الذي قدمته لك.»

«إهتماماتي لا تتعلق بالنواحي المادية، سأنفذ قراري حتى لو دفعت من جيبي الخاص.»

وضع كأس الشراب من يده، وانحنى في جلسته إلى الأمام، كل خلية فيه كانت مركزة عليها. «إذا كنت لا تهتمين بالنواحي المادية، فبماذا تهتمين إذن؟»

«الأسباب عاطفية، عاطفية بحتة. أريد أن أحافظ على ارتباطي بهذا المكان.»

توقعت أن يضحك كما فعل في المرّة الماضية، لكنه لم يفعل، بل ابتسم إبتسامة ساخرة.

«هل تريدين القول إن هذه العاطفة القوية تجاه هذا المكان قد نمت في أسبوعين لدرجة أنك ستسببين فوضى في حياتك في لندن لتأتي إلى الدوتادو كل شهر، وتقضين بضعة أيام، ثم تعودين؟ يا لها من فكرة عجيبة. سنيوريتا، اسمحي لي أن أتهمك بالجنون!» أنهى كلامه وضحك بصوت عال.

شربت ليانا من كأس العصير. «ربما تعتبرني مجنونة، ولكن فكر كما تشاء، فهذا لن يغير الواقع.»

«أعرف أن شخصاً آخر سيتهمك بالجنون. كليف، خطيبك. سيحب جنونك هذا!»

فكرت ليانا بكليف، كيف سيتكيّف مع هذا الواقع الجديد؟ ثم قالت: «سيفهم كليف أهمية هذا الأمر وما يعنيه لي وسيحترمه، ولن يعارض فكرتي.»

وقف فيليب وقد نفد صبره. «حسناً، كليف لن يعارض فكرتك، وسيأخذ بيدك ويبدأ بالحوار المهذب، ثم يدلي بأفكاره.»

«هل تعني أنه سيقول لي ما أفعل... كما تحاول أنت دائماً؟»

«أنا أعني ما أقول. إن على كليف أن يحاورك ويقنعك بنزع هذه الفكرة من رأسك العنيد، وعليه أن يلقنك درساً في احترام العلاقات، ألم تفكري في أن خطتك الأنانية هذه سوف تفسد علاقتكما؟»

كان يقف مشرفاً عليها، وهي تجلس على كرسيها. فكرّ أن يرفعها بيديه، يهزها، ربما تصحو.

«ولكن لماذا؟» فكرت ليانا، لماذا يتدخل في أمورها مع كليف، وبرودة زائدة تنافس غضبه الجامح أجابت: «خطتي لن تؤذي علاقتنا. ولحسن الحظ، فأنا وكليف لا نحب العلاقات التي تُبنى على امتلاك الواحد للآخر، ولا نرى حاجة لوضع الأغلال في أيدينا.»

«أنا لا أتكلم عن الأغلال والقيود! أنا أتكلم عن المشاركة. أنا أتكلم عن شخصين يجب أن يعيشا كشخص واحد.» نظر إليها وعيناه تشتعلان غضباً، ثم تابع: «لم تفكري أن تكلميه، اتخذت قراراً، ورفضت عرضاً مالياً كان من الممكن أن يغير مجرى حياتكما، لم تفكري حتى في أخذ رأيه.»

نظرت ليانا إلى فيليب. «لا أحتاج لسؤاله عن رأيه! فأنا أعرف كليف جيداً. لو كان لدي شك في أن كليف لن يوافقني على هذا الرأي، لما كنت رفضت عرضه بهذه السرعة وردتك خائباً.»

«هل أنت متأكدة من ذلك؟»

«طبعاً، أنا متأكدة.»

لم تكن لتأخذ مثل هذا القرار، لو لم تعرف مسبقاً أن كليف سيوافق، فقد اتفقت معه قبل قدومها إلى الدوتادو، وأنه مستعد لتحمل نتائج قراراتها.

نظر فيليب في عينيها. ثم تنفس بعمق وقال: «حسناً، سأصدقك، ولكن، خطتك هذه لن تنجح على أية حال.»

«ولماذا لن تنجح؟» فجأة! أخذت ترتعش، عندما رأته غاضباً، أحست وكأنه سينقض عليها.

«لأنك غير قادرة على رعاية شؤون الدوتادو في خلال أيام قليلة، ظننت أنك تعلمت خلال إقامتك هنا شيئاً عن أصول الزراعة، فالزراعة تحتاج وقتاً كاملاً، عليك أن تكوني موجودة عندما يحتاجون إليك، وليس عندما ترين أن الوقت مناسب بالنسبة لك.»

«سأكون جاهزة خلال النهار كله وحتى الليل، وسيتصلون بي لأخذ رأيي في أي أمر جديد.» هذا أمر آخر كانت قد فكرت به. فهي تعلم أن عمل المزرعة ليس دواماً من الساعة التاسعة وحتى الرابعة. حدقت به وتابعت: «نحن لا نعيش في العصور الوسطى كما تعلم. في هذه الأيام توجد آلات حديثة كالهاتف والفاكس. فأي شخص يريدني، يستطيع الاتصال بي في لندن.»

«طبعاً يستطيع الإتصال، ها... ها» أنهى حواره معها، نظر إليها وفي وجهه غضب مخيف.

مال نحوها وسألها: «ما الذي ترمين إليه؟» ما هذه الألعاب التي تمارسينها، يا سنيوريتا؟ إنك أنانية، إنها أفكار أنانية، أنت لا تفكرين إلا بنفسك.»

نظرت ليانا نحوه دون أن تطرف عينيها عندما قالت:

«هل تفسر لي ما تريد؟ لو سمحت! فأنا لا أعلم شيئاً عن مراميك؟»

«بكل سرور.» إبتسمت شفتاه الغليظتان. «كل ما في الأمر أنكِ تعتقدين نفسك سيدة تملك مزرعة في وسط الأرجنتين، هذا سيثير غيرة أصدقائك في لندن، أراهن على أنك تسعين وراء هذا الأمر. وكما قلت سابقاً، إنها الأنانية التي أعمت بصرك وبصيرتك.»

«وكيف عرفت ذلك؟ هل تستطيع قراءة أفكاري؟ كيف عرفت ما أشعر به تجاه المزرعة؟»

«لست بحاجة لأن أقرأ أفكارك. الذي أعرفه أن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة. لو أنت بالفعل تفكرين بمصلحة المزرعة، لكنت قبلت بعرضي، أن تبيعيني حصتك، لكنت أبعدت عن رأسك خططك التي لا أمل لها في النجاح، والتي تقود إلى دمار الدوتادو على مرّ الزمن.»

«أنت تظن ولكنك لست متأكداً. كل ما في الأمر أنك تشعر بأن معارضتي واجبة. عليك دائماً أن تقف في موقف المعارض.»

فاقترب منها: «أنت مخطئة هذه المرّة، الواجب الوحيد الذي أشعر به هو المحافظة على الدوتادو، ومراقبة حسن سير العمل فيها. لأنها تؤمن الحياة لعدد كبير من النساء والرجال الذين يعملون فيها. ولهذا السبب فقط أنا أمنعك من القيام بتصرفات سخيفة من الممكن أن تهلك المزرعة.»

أطلّ عليها بنظرات قاسية. «ولهذا فأنا أحذرك!» صمت قليلاً ثم أضاف: «اتبعي ارشادات كارينو! انفقي الآلاف على رحلاتك ذهاباً وإياباً، ولكن، في نهاية الستة أشهر، سوف

أمنعك من امتلاك نصيبك من المزرعة، كوني واثقة من كلامي... أنا من سيربح أما أنت فستخسرين... ستخسرين كل شيء ولن يبقى لك حتى ذرة تراب من أرض الدوتادو.»

توقف قلب ليانا عن الحركة فجأة عند سماعها تلك التنبؤات العاصفة. استدار غاضباً واتجه نحو الباب الرئيسي المؤدي إلى الشرفة، توقف ثم التفت نحوها قائلاً: «لقد سحبت العرض الذي كنت قد قدمته إليك، إنسي الأمر، فأنا لن أدفع لك فلساً واحداً. وبالعكس فأنا أتمنى أن أراك تغادرين هذا المكان نظيفة اليدين!»

تسمّرت ليانا في مكانها، سمعت صوت خطواته على الدرج. أحست بذهنها يتشتت. أرادت أن تنفجر من الغضب الذي اعتراها، أرادت أن تقف لتدافع عن نفسها وتصرخ به: «لن تربح، أيها المتوحش.» ولكنها لم تستطع التفوه بكلمة واحدة. فوجهه كان مشتعلاً غضباً. وقد تأكدت من كرهه لها، وهو يحاول أن يفهمها أنه معجب بها، ولكنه كان يؤدي دوراً. كان يحاول خداعها. إنه يكرهها، إنه إنسان حاقد يسعى للإنتقام. سمعت صوت إغلاق باب السيارة بعنف، ثم سمعت صوت السيارة وهي تنطلق بسرعة في الممر الرئيسي. شعرت بنفسها تغرق في ظلام من اليأس والشقاء، غير قادرة على مجابهته. مالت برأسها إلى الوراء، لتنساب دموعها على خديها وقد عصفت بها رياح الحزن والأسى.

الفصل العاشر

مرّت ثلاثة أيام دون أن ترى وجهه، لقد اختفى. الأفضل لها أن لا تراه. فهي تشعر بالراحة لعدم رؤيته، رؤية الوجه الغاضب المليء بالحقد والكراهية.

ولكن ما العمل؟ هل تبقى؟ علّمها جوليو أشياء كثيرة عن الزراعة، عن المزرعة، ولكن هذا لا يكفي، فهي بحاجة لدراسة مجلدات لو أرادت أن تنجح في إدارة شؤون المزرعة.

هل من الممكن إكتساب معلومات إضافية عن طريق الخبرة المكتسبة من خلال العمل اليومي في المزرعة؟ هذا ما جعلها تتذكر أقوال فيليب. لقد حذرها من أن رعاية شؤون المزرعة عمل صعب لا تستطيع القيام به وهي بعيدة. قال عنها إنها أرنب، عقلها وتفكيرها مثل تفكير أرنب، سخيفة، مجنونة.

هل ذلك لأنه يطمع في حقها في المزرعة؟ أم أنه محق؟ ففشلها يدمر المزرعة ويشرد العديد من العمال والنساء والأطفال. أدركت الحقيقة، فهو محق فيما قال. إنها تشاركه الرأي في فكرته هذه.

حتى لو نجحت خطتها، هل ستقضي حياتها في الطائرة، ذهاباً وإياباً من وإلى الدوتادو؟ ستنتهي، حتماً، إلى الإفلاس. وتعود إلى لندن بعد فترة خالية اليدين.

إن كارينو لم يعطها ضمانات للخطة المقترحة. لقد

أفادها بالنواحي القانونية، أما نجاح العمل وإزدهاره فمن المحتمل ألا يتحققا. ودفعها هذا للتفكير بشكل منطقي.

من الأفضل أن تحزم أمتعتها معترفة بالفشل! ستنسى ما مرّ معها من أحداث هنا، وكأن شيئاً لم يكن. ولكن هل هي قادرة على تنفيذ قرارها هذا؟ عليها أن تكون مقدامة ولا تخاف النتائج، فهي أولاً وآخراً خاسرة.

ها هي ذي غير قادرة على إتخاذ قرار ما، وهذا سيؤخر عودتها إلى ترانك لوكان للإتصال بكليف. كانت قد وعدته بالإتصال به، ولكن ما الذي ستقوله له؟ كانت كمن يدور في حلقة مفرغة. كانت كالهرّة التي تدور حول نفسها لتلتقط ذيلها. وشعرت بالإحباط.

في صباح اليوم التالي. تناولت فطورها وركبت سيارة الميتسوبيتشي، وقادتها غير قاصدة وجهة معينة. أحست بضيق في صدرها، فأرادت الهروب من البيت لعلها تستطيع التفكير بشكل منطقي.

كان وجه فيليب الغاضب في مخيلتها بشكل مستمر. لماذا يكرهها؟ لماذا يحاربها؟ سألت نفسها هذه الأسئلة مرات عديدة. لماذا يبدو قاسياً وعنيفاً؟ لماذا يبدو عنيداً في تعامله معها؟ لقد فقدت القدرة على مواجهته.

قادت سيارتها بين الحقول المزروعة بدوار الشمس، ثم عبر مراعي الماشية. منذ ثلاثة أسابيع كانت هذه المناطق مجهولة بالنسبة لها، كالقسم المظلم من القمر، أما الآن فهذه المناطق أصبحت مألوفة لديها، تعرفها كما تعرف تفاصيل كفها.

إبتسمت، فقد كانت تعتبر نفسها إبنة المدينة المدللة التي

تحب الحدائق. لم تفكر من قبل أنها ستعشق السهول المترامية والحقول الزراعية.

كان الوقت ظهراً عندما توقفت لتناول فنجان من القهوة. تحدثت مع العمال هناك. فقد عرّفها جوليو عليهم، ولكن هذا لم يغير مزاجها. بل جعلها أكثر شقاءً.

عادت إلى سيارتها وقادتها دون أن تحدد وجهة سيرها. ولكنها عادت إلى البيت لأنها شعرت بحرارة شمس الظهر الحارقة. فكرت بأن تقدم لنفسها شراباً بارداً. ولكن ما أن وصلت إلى الممر الرئيسي المؤدي إلى البيت، حتى فكرت بالهرب والعودة من حيث أتت. فقد لمحت الرانج روفر الأنيقة متوقفة في مكانها المعهود.

«ما الذي يفعله هنا؟» أوقفت سيارتها بالقرب من سيارته. شعرت بقلق، فهي لم تعد تحتمل مزيداً من الغضب. أحست بانفعال شتت عواطفها. ولكنها فجأة أحست بالأمل.

ربما عاد ليعتذر لها عن تصرفاته القاسية وكلامه المهين. كانت متفائلة جداً حتى أنها فكرت كيف ستكون ردة فعلها تجاه الاعتذار.

فتحت ليانا الباب ورسمت ابتسامة على شفتيها. ولكن ما أن خطت نحو الشرفة حتى اختفت الابتسامة. فالشخص الذي يقف أمامها لم يكن فيليب... إنه كليف.

«كيف وصلت إلى هذا المكان؟» وقفت تحدق فيه بدهشة. «لماذا لم تعلمني بقدومك؟»

كان كليف يقف بالقرب من الشرفة يرتدي سروالاً أنيقاً وقميصاً أبيض كان شعره القصير يلمع تحت نور الشمس الحارقة.

إبتسم وسألها: «ما بك؟ ألست مسرورة لرؤيتي؟»

«طبعاً، أنا سعيدة جداً!» اندفعت نحوه ورمت نفسها بين ذراعيه وقبلته. «كل ما في الأمر، أنك فاجأتني. خلت أنني أحلم.» عانقته بحرارة. «لقد سررت جداً برؤيتك!»

في تلك اللحظة دخل فيليب.

لم ينظر إلى ليانا وقدم نفسه إلى كليف. «سأترككما الآن.» رفع يده ليودعهما. «كانت فرصة سعيدة. أتمنى أن نلتقي مرة ثانية.»

«أنا أيضاً أتمنى ذلك، شكراً على كل ما فعلت.»

إبتسم كليف للرجل الطويل الذي يقف أمامه. أحست ليانا بدفء هذه الإبتسامة.

تعجبت ليانا من تصرف فيليب المهذب مع خطيبها. كانت تتوقع أن يقوم بتصرفات وقحة كعادته. ولكنه لم يكن كذلك. إنه يسيىء معاملتها لأنه لا يحبها.

بعد دقائق من مغادرة فيليب. بدأ كليف يخبرها قصة وصوله إلى الدوتادو.

«لقد اتصلت بكارينو بواسطة الفاكس. أخبرته عن موعد قدومي. اتصل هو بدوره بفيليب. وعندما وصلت إلى بيونس آيرس وجدت رسالة في انتظاري. كانت الرسالة من فيليب يخبرني فيها بأنه سيقابلني في ترانك لاكان. فاستقللت الباص من المطار. وها أنا ذا هنا منذ حوالي الساعتين.»

كانا جالسين على الشرفة يشربان الشراب المثلج.

ونظرت ليانا نحو كليف بأسف. «لقد تحملت كل هذه المصاعب من أجلي. كان عليّ أن أعاود الإتصال بك كما وعدتك.»

إبتسم كليف وقال: «الحقيقة كنت قلقاً عليك. إنك لم ترسلي رسالة ولم تتصلي في الأسبوع الأول. فقررت أن أحضر عندما اتصلت، وقلت انك ستتصلين مجدداً. إنتظرتك فلم تفعلي. وهكذا جئت على أول طائرة قادمة من لندن.»

تجهم وجه ليانا. كان الندم والأسف باديان على وجهها عندما تابع كليف كلامه: «أعلم أنه لا يوجد هاتف هنا، والبريد ليس منتظماً. أنا لا ألومك. أنا أعرف أنك كنت مشغولة.» أمسك بيدها. «كل ما في الأمر هو أنني اشتقت إليك وأردت أن أراك.»

كانت ليانا تستمع إليه، فهي لم تشعر بشوق نحوه. أرادت أن تقول: «أنا أيضاً إشتقت إليك.» ولكنها كانت تشعر بأنها ستنطق بأكاذيب. فالحقيقة القاسية هي أنها لم تشعر بأنها قد افتقدته، لم تشعر بشوق إليه.

قالت وهي تبتسم بجهد. «كنت مشغولة لدرجة لا تصدق. لم أكن أعلم شيئاً عن المزرعة والزراعة. وهذا العلم يتطلب وقتاً طويلاً.»

إبتسم لها. كانت عيناه الرماديتان صادقتين. «هيا، أخبريني عن أحوالك، فأنا متشوق لسماع قصصك.»

أخذت ليانا تقص عليه الأحداث التي مرت معها أثناء تجوالها مع جوليو. حدثته عن الدوتادو وعن زياراتها إلى ترانك لاكان، عن الحياة الجديدة التي تعيشها.

كانت تتكلم وهي حذرة من أن يجرها حديثها إلى الوصول إلى مواجهة مع كليف تجعله يطرح بعض الأسئلة عليها.

لماذا مثلاً تصرفت ببرود عندما رأت كليف في البيت؟

لماذا لم تشعر بالفرح لدى رؤيته؟ لماذا ظهرت وكأنها خائفة من شيء ما؟

شعرت بدفء العاطفة الصادقة، عندما عانقته. وأحست بفرح عندما رأته. هذا كل ما أحست تجاهه. لم تشعر بالرغبة والإثارة. كان استقبالها له كإستقبال صديق قديم وليس كرجل ستتزوج منه قريباً.

حاولت إبعاد هذه الأحاسيس أثناء حديثهما. ربما يرجع سبب فتور العلاقة إلى بعدها عنه لمدة من الزمن، أو لعلها اندمجت في حياة جديدة مختلفة كلياً عن حياتها الماضية. كل المشاعر القديمة نحوه ستعود مع مرور الزمن. أكدت ليانا لنفسها ذلك.

بقي كليف وليانا طيلة فترة بعد الظهر في البيت. كانت ليانا هادئة، أما كليف فكان منهوك القوى بعد رحلته الطويلة إلى الدوتادو، ثم تناولا طعام العشاء، الذي أعدته روزاريا، على الشرفة.

«ما هي المدة التي ستبقين فيها هنا؟» سألها كليف بينما كانا يشربان القهوة. لم تعطه جواباً صريحاً، مع العلم أنه أخبرها سابقاً عن موعد رجوعه.

تنهدت ليانا وابتسمت له. «قد أعود معك. أفكر بالعودة قريباً. لا داعي لبقائي هنا في هذه الفترة.»

«أعتقد أنك على صواب.» كان صوته دافئاً. «لقد استنتجت من أخبارك، أن عملك المتعلق بالإرث لا يتم إلا وأنت هنا. علينا أن نجد طريقة ما تجعلك قادرة على التعامل بين القارتين.»

«ألا تمانع في ذلك؟»

«كلا، إن كان ذلك يرضيك.»

تنهدت ليانا. «ولكنني أعتقد أن هذا الأمر مستحيل. فهو سينافسني خلال الستة أشهر وأنا أعلم أنه سيتفوق عليّ.»

«هل تعنين فيليب؟»

أومأت ليانا برأسها. «سيفعل أي شيء ليمنعني. والنتيجة من هذا كله هو أنني سأخسر آلاف الجنيهات.»

اقترب كليف منها، ووضع يده على ذراعها. «سأمدك بالمال، حاولي إن كان هذا الأمر يهمك. ولا تهتمي بالتكاليف. افعلي ما تريدين وكما يحلو لك.»

نظرت ليانا إلى وجهه، وأحست بغصة في حلقها. فهي لن تجعله يقامر بأمواله في صفقة خاسرة. ولكنها شعرت بالإمتنان له. فهي لا تستحق كرمه هذا.

قالت له: «شكراً لك، أنت حقاً رجل عظيم.»

نظرت إليه وأكدت لنفسها أن الشعور المفقود تجاه كليف سيعود إليها حتماً.

في اليوم التالي، ذهبت ليانا وكليف في جولة في المزرعة، وكانت تشرح له بزهو، معلوماتها.

قالت وهي تشير إلى حقول الذرة: «إننا نحصل على محصولين في السنة، القمح والشوفان في شهر كانون الأول، دوار الشمس والذرة في آذار. التربة هنا غنية جداً ولا نستعمل الأسمدة إلا نادراً.»

فنظر إليها ثم قال: «إنها لا تختلف كثيراً عن ميوزول هيل. أتمنى أن لا تجدي صعوبة في العودة إلى حياة المدينة.»

ضحكت ليانا وهزت برأسها نافية. مع ان هذه الفكرة

كانت قد خطرت في بالها قبل مجيء كليف. «لا تكن سخيفاً، فهناك حياتي، حيث عشت دائماً.»

«ولكنك تحبين هذا المكان، أستطيع أن أرى هذا في عينيك.»

«نعم، أنت على حق.» تذكرت قول فيليب انها تحب أن تظهر كسيدة صاحبة أملاك في الأرجنتين. لا بد أن هذا سيؤثر في أصدقائها في لندن.

فيليب غير قادر على فهمها. وبالعكس فها هو ذا كليف يفهمها، ويعرف ما تريده دون أن تطلب. مالت نحو خطيبها وقبلته. «سأسافر معك يوم الأحد، لقد قررت.»

في صباح اليوم الثاني تسلمت ليانا دعوة. «إنها من السنيورة جوانيتا،» قالت روزاريا عندما سلمتها بطاقة الدعوة. «طلب مني السنيور فيليب أن أسلمها لك.»

عرفت ليانا محتويات الظرف قبل أن تفتحه. كذلك كانت تعلم أنه ليس لها خيار لترفض الدعوة. فهي قد وعدت جوانيتا بزيارتها قبل أن تغادر إلى لندن.

كانت الدعوة على العشاء، في الليلة التي تسبق موعد عودتهما إلى لندن.

«رائع!» قال كليف عندما أخبرته. «فأنا أحب أن أتعرف على إبنة خالك هذه.»

ليانا أيضاً كانت متشوقة لرؤية جوانيتا. ولكنها خائفة من مقابلة فيليب هناك.

ارتدت تلك الليلة ثوباً أبيض عكس لونها البرونزي. لماذا؟ سألت نفسها ذلك وهي تستعد للذهاب. لماذا تخاف من وجود فيليب؟ ساتجاهله ولن أهتم بأمره. ولن يجرؤ على التحرش بي في وجود كليف.

إزداد قلقها عندما انطلقا باتجاه بيت جوانيتا. كانت تتمنى أن تنتهي السهرة بسرعة.

كان بيت جوانيتا الأجمل في القرية. لونه أبيض ونوافذه خضراء، تزينه أحواض من الورود والأزهار الملونة. والأجمل من ذلك كله هو عدم وجود الرانج روفر على الطريق أمام البيت، كذلك الليموزين، لا شيء يدل على وجود فيليب.

تنفست الصعداء. هل القدر إلى جانبها هذه المرة؟ هل ستقضي آخر ليلة قبل سفرها بسلام؟

كانت جوانيتا قد أجهدت نفسها في اعداد أصناف الطعام الشهية. قدمت جوانيتا إلى ليانا كأس شراب كانت قد أعدته خصيصاً لهذه المناسبة. هذا المشروب كان يقدم بشكل تقليدي في المناسبات السعيدة.

لاحظت ليانا أن طاولة الطعام، التي زينتها الورود الجميلة، كانت معدة لثلاثة أشخاص وليس لأربعة.

تحدثوا وهم يشربون الشراب. دعتهم جوانيتا إلى غرفة الطعام. ولكن ما أن جلست ليانا على مقعدها حتى رن جرس الباب.

حبست ليانا أنفاسها عندما ذهبت جوانيتا لتفتح الباب. هل سيقسو القدر عليها مرة أخرى؟

بعد لحظة سمعت صوته يعتذر. كان يتكلم بالاسبانية. شعرت ليانا باليأس من جديد. فها هو ذا قد جاء ليفسد سهرتها. جلست في مقعدها وقد بدا عليها الإعياء. دخل فيليب غرفة الطعام. كان يبدو فارع القامة في بذلته الزرقاء وشعره اللامع وقد رسم على شفتيه إبتسامة ناعمة.

شعرت بقلبها يكاد يقفز من مكانه. وكان دمها يغلي. أحست بالخوف والرهبة عندما نظرت في وجهه. أبعدت نظراتها عنه وحدقت في صحنها الفارغ أمامها.

«ما هذه المفاجأة الجميلة؟» دخلت جوانيتا الغرفة وراءه. «كان فيليب قد اعتذر عن الحضور لإعتقاده أنه لن يستطيع أن ينجز أعماله. ولكن ها هو ذا هنا. لحسن الحظ أن الطعام الذي أعدته يكفي أربعة أشخاص!»

«أعرف لياقتك. فانت تكونين دائماً مستعدة.» نظر نحو شقيقته نظرة تقدير ومحبة. «أعتذر لأنني جئت متأخراً.»

«لا تهتم، فنحن لم نبدأ بعد.» طلبت جوانيتا من ليانا أن تفسح مكاناً لفيليب ليجلس بينهما. تناول كرسياً كان بالقرب منه وجلس عليه بالقرب منها. فجأة أحست بأنها غير قادرة على التنفس.

عليّ أن أذهب، عليّ أن أجد عذراً لمغادرة هذا المكان. كانت هذه الكلمات تجول في رأسها. فهي لا تستطيع أن تقضي السهرة كلها جالسة إلى جانبه.

«عملت جهدي لأحضر عشاء وداعكما.»

كانت تشعر بدفء أنفاسه عندما كان يتكلم، وكأنه كان يشدها إلى صدره. حاولت أن تلتفت لتختلس النظر إليه. ولكنها انتبهت لوجود كليف إلى جانبها.

إذن، فقد قرر أن يتجاهلها. هذا يجعل الأمور أسهل وهكذا تستطيع أن تقاوم حتى تنتهي السهرة.

لم يعرها النظر أثناء حديثه حتى أنه لم يحاول توجيه الكلام مباشرة إليها. كانت تلتقي نظراتهما بالصدفة، ولكنه لم يظهر أية تعابير تدل على أنه يراها، أو حتى يعتبرها

موجودة في الغرفة. شعرت وكأنها قطعة أثاث أو قطعة أثرية لا أهمية لها.

إستطاعت ليانا أن تتحمل هذا العشاء حتى انتهى بسلام ولكن تجاهله لها جعل قلبها يحترق.

عندما انتهوا من تناول القهوة. وبدأت جوانيتا تجمع الصحون والأواني لأخذها إلى المطبخ، هبت ليانا لمساعدتها لتجد سبيلاً للهرب من فيليب. «دعيني أساعدك» قالت لجوانيتا. ولكن قبل أن تجيبها تدخل فيليب قائلاً موجهاً حديثه إلى كليف:

«لو تسمح، أريد أن أتكلم مع ليانا على انفراد في حديث عمل. أرجو أن لا يكون لديك مانع؟ ستكون هذه آخر فرصة نستطيع أن نتكلم فيها عن شؤون المزرعة قبل رحيلكما.»

«بالطبع! بالطبع!» هز كليف رأسه موافقاً. ثم نظر إلى جوانيتا وقال لها: «سأساعدك في نقل الصحون.» ذهب كليف مع جوانيتا إلى المطبخ، بينما وقفت ليانا متجمدة بالقرب من كرسيها. كان قلبها يرتعد خوفاً. ماذا يريد منها؟ وتمنت لو تستطيع الهروب.

وقف فيليب بهدوء. «لنذهب إلى الحديقة. حيث نستطيع أن نتكلم بحرّية.»

وكعادته، لم ينتظر جوابها. سار إلى خارج الغرفة عبر الباب الذي يؤدي إلى الحديقة.

مشت خلفه من دون أن تمانع. لم تشأ أن تتكلم معه في الخارج أو في الداخل. ولكن في الداخل وبوجود كليف وجوانيتا كانت ستشعر بارتياح. ربما يريد أن يربكها بأخذها إلى الحديقة. مشى أمامها بينما وقفت

عند الباب تراقبه. وصل إلى مكان فيه كراسٍ وطاولة خاصة بالحديقة. جلس على إحداها، ثم نظر إلى ليانا قائلاً: «تعالي، لا تخافي فأنت في أمان هنا. فأنا لن آكلك.»

أزعجها كلامه وجعلها تبدو سخيفة بوقوفها عند الباب. مشت نحوه وقالت: «إنني أتساءل لماذا تريد أن تتكلم معي على انفراد.»

«لقد قلت لك، إنه حديث عمل.»

«في الحقيقة أنت قلت ذلك لكليف، وليس لي.»

لقد أحرجت نفسها بقولها هذا، ارتبكت ووقفت تتأمله. فهو يعرف الآن أنها كانت منزعجة لأنه تجاهلها طيلة فترة العشاء.

قال فيليب بسخرية: «كان كلامي موجهاً إلى أذنيك أيضاً.» كانت تتوقع أن يرسم إبتسامة على شفتيه تزيد من إظهار سخريته. ولكنه كان ينظر إليها نظرات خالية من المرح.

تابع كلامه بجدية: «أنت لم تصدقي أنني جئت بك إلى هنا لأتكلم معك في شؤون العمل. الذي أعرفه أنه ليس بيننا أي شيء آخر للمناقشة.»

جلست ليانا على الكرسي. «حقاً، هذا صحيح؟» تابعت كلامها بحزم، حاولت أن تهدىء أعصابها، ولكنها شعرت بإرتباك وتوتر: «ولكني أعتقد أننا قد قلنا كل ما يجب أن يقال عن العمل.»

«حقاً؟» مد ساقيه الطويلتين أمامه. ووضع كوعيه على الطاولة وشبك أصابعه. كان مرتاحاً بقدر ما كانت هي

متوترة ومرتبكة. «حسناً.» تابع وهو ينظر في عينيها: «لا أوافقك الرأي.»

«لماذا؟ ماذا تريد أن تقول؟» لم تقدر أن تسيطر على خفقات قلبها والتي شعرت بها كضربات الطبل. كانت تشعر برغبة في البكاء كلما نظرت إليه.

«عن الدوتادو، لا عن أي شيء آخر.» أجابها ببرود حطم قلبها. «أريد أن أعرف ما هي مشاريع عملك بالنسبة للمزرعة؟»

أبعدت نظرها عنه. سيعرف حتماً. لقد فكرت بخطة خلال العشاء. ولكنها لن تقولها له الآن. يجب أن تبحث الأمر مع خطيبها كليف، فمن حقه الإطلاع على أفكارها وخططها قبل أن تخبرها لأي شخص آخر. نظرت إلى فيليب وقالت: «يجب أن أتكلم مع كليف أولاً.»

«ألم يكن لديك الوقت الكافي لتتحدثي معه؟»

كان لديها وقت طويل. ولكن لم تخطر لها هذه الفكرة قبل العشاء. كررت كلامها «أريد أن أتحدث إلى كليف.»

ضاق صدره ولم يعد يحتمل الصبر. «متى؟ كم من الوقت تعتقدين أن علي أن أنتظرك لتقرري؟ أسبوعاً؟ شهراً؟ علينا أعمال يجب أن نقوم بها.»

فقالت بثبات: «أعرف ذلك. سأرسل لك برقية أخبرك فيها عن قراري حالما أصل إلى لندن.»

إبتسم قائلاً: «هذا يعني أنك قد اتخذت قراراً، ولكنك تريدين مناقشة الأمر مع خطيبك كليف، إنك تخدعينني.»

«فكر ما تشاء.» لقد أغضبها هذا الإدعاء. شيء ما تحطم

في داخلها ولكن لا داعي للغضب، لأنه محق، وها هي ذي تهرب من مواجهة الحقيقة.

قالت من دون أن تفكر وكأنها تحاول إرضاءه: «كما قلت لك، لن أتأخر في إبلاغك قراري. وأظن أنك ستقتنع به.»

رفع حاجبيه كعلامة تعجب. «هل تريدين إبلاغي أنك قررت إدارة شؤون المزرعة من غرفتك في لندن مع القيام برحلات مكوكية إلى الأرجنتين من وقت إلى آخر؟»

أصبحت لهجته قاسية مرة أخرى، كان كلامه يؤذيها. فقد قررت ليانا أن تقوم بمشاريع عديدة، وزيارة الدوتادو من وقت إلى آخر هي من ضمن هذه المشاريع.

تنفست بعمق وأجابت بنبرة حازمة: «لا تحاول أن تدفعني لمناقشة الأمور معك الآن. سأبلغك قراري بعد أن أتحدث مع كليف.»

لم ينظر إليها، وجلس على الكرسي الأبيض. «مسكين كليف، لا أتمنى أن أكون مكانه أبداً، لأنه سيتزوج من امرأة مثلك.»

«لا تقلق بشأن كليف.» لقد شعرت بالإهانة. كانت تريد أن تقف وتختفي من أمامه. ولكن قدميها لم تساعداها.

أخفت غضبها، وقالت: «أترك أنت كليف فسيكون بألف خير.»

«أنت تعنين أنكِ من سيكون بخير. فأنت لا تهتمين بكليف، أنت لا تحبينه، الشخص الوحيد الذي تحبين هو نفسك.»

كانت كلماته حادة، مزقت قلبها. وأحست به ينزف في داخلها. لقد قال قولاً صحيحاً تخجل من النطق به. «أنت لا تحبين كليف.» لقد بدأت تشعر في المدة الأخيرة بأن حبها

لكليف ليس حباً حقيقياً. وفي هذه الليلة بالذات تأكدت من مشاعرها. فهي تشعر بأنها تهتم بصديق وليس بحبيب. إنها لا تشعر نحوه بعاطفة ولا بحب عميق.

كرهت نفسها في هذه اللحظة، كرهت نفسها لسببين: فهي لا تحب كليف، الرجل الذي يستحق الحب والاحترام. والسبب الثاني هو اكتشاف حقيقة شعورها في اللحظة التي رأت فيها فيليب داخلاً إلى غرفة الطعام هذه الليلة، ونظرت في وجهه.

في تلك اللحظة أحست بأن نوعاً من الحب المؤلم يجتاح قلبها. نظرت إلى تينك العينين الداكنتين، وهي تشعر بالألم. انها تحبه بطريقة جديدة لم تعرفها من قبل.

استطاعت أخيراً، أن تقف على قدميها. نظرت إليه وقلبها يعتصر ألماً. «أرى أن ننهي حديثنا. لأننا قلنا كل ما يمكن أن يقال.»

«لا أظن،» شعرت بالخوف عندما نهض من مكانه ووقف إلى جانبها. وصل إليها والتقط ذراعها. «هل أنت متأكدة؟»

شعرت بأن يده تحرق جلدها. أحست بشوق لأن ترتمي بين ذراعيه وتبوح له بما يعذب قلبها. سبحت دموعها داخل عينيها. أرادت أن تقول له أحبك، ولكن ظهور كليف المفاجيء أنقذها من هذا الموقف.

وسمعته يقول: «أظن أن الوقت قد حان للذهاب، علينا أن نستيقظ باكراً في الغد لنبدأ رحلتنا.» صمت قليلاً ثم تابع قوله: «هذا إذا كنتما قد انتهيتما من حديثكما.»

«لقد انتهينا.» تركها فيليب ومشى بعيداً عنها. كانت تعابير وجهه مبهمة وباردة. وهو يقول: «كنا على وشك الدخول.»

لم تستطع ليانا الكلام، بقيت صامتة لأكثر من خمس عشرة دقيقة. ثم قامت تشكر جوانيتا على حسن استقبالها، لهما وعلى العشاء الفاخر الذي قدمته. تمنت جوانيتا على ليانا زيارتها عند عودتها من لندن.

صعدت إلى سيارة الميتسوبيتشي، وجلس كليف إلى جانبها ثم انطلقا باتجاه الدوتادو. شعرت بأن شيئاً ما قد تغير في حياتها.

عندما تصل إلى لندن، ستقوم بعمل يحدد مصيرها. فهي ستطلب من كليف أن يفسخ خطوبتهما. فهذا أفضل لهما. ولكنها لن تقوم بهذه الخطوة وهي بعيدة عن أرض الوطن. سترسل، بعد هذه الخطوة، برقية إلى فيليب تخبره فيها عن القرار الذي اتخذته. فهي ستتخلى عن حصتها في الدوتادو دون مقابل، وستوقع له على تنازل لمصلحته. فهي لن ترضى أن تكون ذليلة لأحد. وتفضل الابتعاد عن فيليب وممتلكاته. كان قرارها حازماً. فهي ستغادر الأرجنتين إلى الأبد، ولن ترى فيليب مرة أخرى في حياتها.

الفصل الحادي عشر

كانت قد مرت ستة أسابيع نفذت ليانا خلالها قراراتها. واستعدت لتبدأ حياة جديدة ومهنة جديدة، وحدها.

كان قرار إنفصالها عن كليف مؤلماً مع أنه فاجأها بقوله:

«معك حق، مع أنني أكره الإعتراف بهذا الأمر. لن ينجح زواجنا، لأنني أفتقد في علاقتنا للشوق والرغبة، كنت دائم الشك في هذا الأمر، ولكنني كنت أوهم نفسي بأنني مخطىء، إنك لا تبوحين بحقيقة مشاعرك، أو حبك لي وهذا ما يدعو للتساؤل!»

شعرت ليانا بالأسى عندما قالت: «أنا آسفة، يا كليف، لا أريد أن أخدعك. كنت أعتقد أن الذي بيننا كافٍ.»

«ثم اكتشفت أنه ليس كافياً.» أكمل وهو يبتسم. «اكتشفت هذا عندما حرك مشاعرك شيء جديد.»

«شيء جديد؟» نظرت إليه ليانا متسائلة، كانت تشعر بأنها مذنبة. فهي لم تنكر حبها لفيليب. ولكن كليف ليس بحاجة إلى شرح ليلاحظ هذا الأمر. لم تصرح ليانا بحقيقة مشاعرها لكليف. فهي تحبه كصديق ولا تريد أن تؤذي شعوره.

ولكنه زاد من دهشتها عندما قال: «كنت أعرف، لقد عرفت باكتشافك الحب الحقيقي من نظراتك إلى فيليب. في كل مرة كنت معه، أو كنت تتكلمين عنه، كان نور عينيك يلمع بشكل يثير الشك عندي.»

«هذا غير صحيح،» تراجعت ليانا إلى الوراء. «كنت أتهجم دائماً عليه، فأنا لا أحبه.»

هز كليف رأسه، وقال: «حسناً، فالأمر سيان.» تنهد وأضاف: «إنني آسف لأننا وصلنا إلى هذا الحد، كذلك آسف لعدم نجاح علاقتك مع فيليب. فقد أعجبني هذا الشاب مع أنه سرقك مني.»

ظلت كلمات كليف تشغل بالها طيلة أسابيع. فقد أدرك حبها لفيليب قبل أن تتأكد هي نفسها منه.

ربما هي تعرف هذه الحقيقة، ولكنها خائفة من البوح بها. ألم تشعر بأحاسيس غريبة تهز كيانها لدى رؤيته؟ ألم تشعر بخفقان قلبها، وتدفق دمها حين تسمع كلامه؟ ألم تتشوق لأن ترتمي بين ذراعيه عندما يكون غاضباً؟ كانت تدرك كل هذا ولكنها كانت تخاف من البوح به.

ولا عجب أن تخاف من رجل يحقّرها ويكرهها، هربت منه خوفاً من ضياع قلبها. لذا قررت أن تبتعد آخذة معها عبرة لتبدأ حياة جديدة.

ولكنها كانت تشعر بألم كبير. قلبها ينزف وأفكارها مشتتة. فكيف تبدأ حياة جديدة؟

منذ رحيلها لم يحصل أي إتصال بينهما. فما أن عادت إلى لندن حتى أبرقت إليه تعلن تنازلها عن حصتها في الدوتادو. فهي غير قادرة على تنفيذ شروط الوصية. ولا تستطيع المحافظة على هذا الإرث. وهذا ما دفعها لأن تتنازل لصالح الشريك الآخر.

لم تتلق ليانا أي جواب من فيليب، سوى برقية من المحامي كارينو يفيدها بوصول برقيتها، وبأنه جاهز

للقيام بالإجراءات اللازمة. ولكي تساعد على إنهاء الأمر بسرعة أرسلت ليانا إلى المحامي تفويضاً يخوله التوقيع عنها على الأوراق اللازمة بهذا الشأن. وهكذا تنتهي كل صلة لها بالأرجنتين.

ولكن ارتباطها بأميركا الجنوبية قوي. فجزء كبير منها مرتبط بتلك الأرض، فهي لا تستطيع أن تدير لها ظهرها كلياً.

قررت أن تتخلى عن مهنة الصحافة وتقوم برحلات في أميركا اللاتينية لجمع معلومات تساعدها في تأليف الكتب. كانت أول زيارة لها إلى البرازيل. وها هي ذي الآن تتجه نحو المطار لتستقل الطائرة إلى الريو.

كان قرارها سهلاً. أرادت أن تغير مجرى حياتها، أن تتحدى نفسها، أن تلهي نفسها عن التفكير بأوضاع قلبها المجروح.

أمضت خمسة أسابيع تدرس الإسبانية والبرتغالية. شعرت بإرتياح عندما أصبحت تجيد اللغتين. كانت قد أجّرت شقتها لتستفيد منها بزيادة مدخولها.

أحست عندما اتجهت إلى مطار هيثرو بأنها على وشك أن تبدأ حياة جديدة. إنها تريد أن ترمي الماضي وراءها، ولكنها غير قادرة، فهناك جزء منها ـ فيليب ـ لا تستطيع نسيانه أبداً.

حاولت أن تطرد أفكار الماضي من رأسها. حاولت أن تحارب أحاسيسها التي تدفقت من قلبها لتشتت أفكارها. إنه ماضيها وعليها أن تنساه. عليها أن تنتبه لمستقبلها فقط.

عندما طارت إلى الريو في وقت مبكر من الصباح، نظرت

إلى المدينة من نافذة الطائرة، كانت تبدو وكأنها داخل شرنقة من خيوط الشمس. عندما حطت الطائرة على أرض المطار، أحست بإنفعال واضطراب ذكراها بشعورها عندما نزلت في هذا المطار منذ حوالي الشهرين، وهي في طريقها إلى بيونس آيرس. لم تكن وقتها تعلم بالآلام التي تنتظرها.

ولكنها أيقظت نفسها من تيار الأفكار الذي شد عواطفها لتضغط على قلبها المتألم. تنفست بعمق وفكرت بعملها. فهدف زيارتها لهذا المكان هو العمل، ولا شيء غير العمل. وصلت إلى مركز مراقبة جوازات السفر والأمتعة. ثم وضعت حقائبها على عربة دفعتها أمامها، وهي تبحث عن إشارة أو إعلان يدلها إلى مركز التاكسي.

كانت عيناها تفتش عن إشارة، وهذا منعها من ملاحظة وجود شخص طويل يرتدي بذلة بحارة زرقاء وما أن خرجت من بين الحشد حتى وجدت نفسها تقف أمامه.

خفق قلبها بقوة. أرادت أن تهرب وتطير من أمامه. ولكنها حكمت عقلها ووقفت مكانها.

جف حلقها، فنظرت إليه، إلى عينيه الداكنتين الجذابتين. وشعرت بقلبها يعتصر حباً.

سألته بعفوية: «ماذا تفعل هنا؟»

«جئت من أجلك.» أمسك ذراعها. وقاد العربة باليد الأخرى. «أريد أن أتكلم معك. هناك أمور يجب أن نبحثها معاً.»

«لا، لا حديث بيننا!» استجمعت قوة لا تعرف من أين أتت بها. حررت ذراعها من يده، وحاولت أن تحرر العربة من يده

الأخرى. «لن أذهب معك إلى أي مكان!» سأذهب إلى الفندق. أتركني لا أريد أن أتحدث معك!»

وقفا للحظة بين الجموع. كل منهما يضع يداً على العربة. رجل طويل أسود الشعر وفتاة ناعمة ذات شعر ذهبي. يتبادلان النظرات ولا يشعران بالجموع حولهما ثم قال فيليب: «لن تذهبي إلى الفندق، ستذهبين معي إلى الدوتادو.»

هزت رأسها، فقد ظنت أنها تحلم. تنفست بعمق وأغمضت عينيها. خيل إليها أنها إذا فتحتهما مجدداً، فهي لن ترى الأشياء التي تحدث الآن لن ترى أنها في الريو وأن فيليب أمامها يطلب منها العودة معه إلى الأرجنتين.

همس فيليب: «هل تسمعينني؟ هل سمعت، يا ليانا، ما قلت؟»

«سمعت.» كان قلبها يعصف داخل جسدها.

«وهل تصدقينني؟ هل تصدقين أنني أحبك أكثر من أي شيء آخر؟ أكثر من حياتي؟»

حدقت ليانا إليه. إنها خائفة من أن تصدقه مع أن قلبها كاد يطير فرحاً.

«صدقيني، إنها الحقيقة. أنا أحبك، أنت حبيبتي.» تنهد وشدها إلى صدره، ودفن وجهه في شعرها الذهبي. عاد ونظر إليها متوسلاً: «أرجوك قولي انك تحبينني أيضاً.»

ارتعشت ليانا. «أحبك.»

«هل تتزوجين مني؟»

«أتزوج منك؟»

«لتكوني شريكة حياتي إلى الأبد. لن أرتاح إلا بعد أن أحصل على جوابك.»

نظرت في وجهه لتتأكد من أن ما يجري حولها ليس حلماً. ولكنها الحقيقة. ها هي ذي وسط مطار الريو بين جموع من البشر. ولم تتردد في اعطائه جوابها.

«نعم، حبيبي فيليب، أريدك زوجاً لي.»

ستكون هذه آخر ليلة لها في الدوتادو. غداً موعد زواج ليانا وفيليب ومن ثم ستنتقل إلى بيته.

لقد مر أسبوعان على لقائهما في مطار الريو الذي انتهى باصطحابها لفيليب في رحلة إلى الأرجنتين.

«سوف نتزوج قريباً، قريباً جداً،» هكذا وعدها في ذلك اليوم. ذلك اليوم الساحر الذي لن تنساه مدى الحياة. في أثناء رحلتهما إلى بيونس آيرس، التي إستغرقت ثلاث ساعات، أخبرها عن كيفية وصوله إلى مطار الريو وكيف كان في انتظارها لحظة وصولها.

كان السبب رسالة العمة غلوريا، تلك الرسالة التي أوصت بفتحها يوم زواجك كما أخبرك المحامي كارينو. إنك لم تشيري في رسالتك إلى كارينو عن تلك الرسالة، فأعتقد أنك قد نسيت أمرها فسألني عما يفعله بشأنها.

هز رأسه مبتسماً. «لقد تطوعت بإيصال الرسالة إليك، كان هذا عذراً لكي أراك. أعترف لك بهذا.» أصبحت عيناه أكثر اسوداداً. «... ولأتبين إن كان مشروع زواجك من كليف ما زال قائماً... كان عليّ أن أعرف. لم يشغل تفكيري سوى هذا الأمر، كنت سأجن لمعرفة ما حصل معك بشأن زواجك من كليف.» فقالت وقد سرها اعترافه: «هل هذا

صحيح، هل تعني ما تقول. هل هذا ما كان يشغل تفكيرك؟»

«كنت أفكر في هذا الأمر في الليل وفي النهار» رفع يدها وقبلها. «أنت حبي، أنت قدري الرائع.»

شعرت بالدفء يسري في جسدها عندما ابتسم لها. والبارحة إتصلت بك في شقتك في لندن، وأجابني شخص غريب. قال انه استأجر هذه الشقة منك وأعطاني رقماً للإتصال بك بواسطته.

أومأت ليانا برأسها. «إنه رقم هاتف كليف. فقد قدم خدماته كصديق. فهناك أعمال سينجزها لي بالإضافة إلى تلقي مكالماتي الهاتفية والبريد وأشياء أخرى كهذه.»

«نعم، أعرف هذا الآن.» شد بيده على يدها بعنف. نظرت في عينيه أحست بهما حزينتين. «في ذلك الوقت توقعت أن تكوني متزوجة من كليف. فقررت أن لا أتصل بك.» شعرت ليانا بأن قلبها سيتوقف عندما أشار إلى فكرة عدم اتصاله بها. يعود دون أن يراها. هذا يعني أنهما لم يكونا واقفين هنا الآن، ولا يده تشد على يدها، وعيناه تغرقان في بحر عينيها.

«أشكرك، يا إلهي، لأنك ألهمته بإعادة الإتصال.» همست بكلماتها هذه.

«شكراً، يا الهي» تابع فيليب وهو ينظر إلى عينيها. «ولكن، كان هناك دافع آخر، ألح علي بالاتصال. ثم طلبت الرقم وزاد ارتباكي عندما أجابتني امرأة أخرى.»

«امرأة أخرى؟ صديقته؟» إبتسمت ليانا، كانت قد سمعت أن لكليف صديقة وقد سرت لسماعها أن هناك قصة حب بينهما. عادت لتتابع بشوق أخبار فيليب.

«طلبت أن أتكلم مع كليف وقد أخبرني هذا الأخير بما حصل بينكما. كيف طلبت منه فسخ الخطوبة قبل سفرك إلى البرازيل. صمت برهة وأنا لا أعرف ما الذي عليّ أن أفعله كخطوة ثابتة.»

ولكن كليف أنجدني بقوله: «لا بد أنك تعرف أن ليانا تحبك، وإن كنت لا تعلم بهذا فعليك أن تعرف وبسرعة.»

أحرج كلامه هذا ليانا وقالت: «وبماذا فكرت؟»

«لم أفكر أبداً. أسرعت إلى المطار وأخذت أول طائرة إلى الريو وها أنا هنا لأقابلك في المطار.»

ضحكت ليانا. كان المرح بادياً على وجهها. «ولكنني كنت أعتقد أنك كنت تكرهني. كنت بارعاً في إخفاء شعورك.»

فتجهم وجهه: «فعلاً، كان هذا تمثيلاً. كنت أعرف أنك مخطوبة لشخص آخر وكان عليّ أن أحترم ذلك الواقع، مع أنني كنت مغرماً بك، وأريدك بكل جوارحي. لهذا جعلتك تعتقدين أنني ابن خالك، وانني لم أحسن معاملة العمة غلوريا. علمت أن هذا التصرف سيبعدك عني.»

صمت قليلاً ثم أضاف: «والذي زاد من غضبي هو معرفتي أنك ستتزوجين من شخص لا تحبينه. كنت أعرف أنك لا تحبين كليف. شككت في أمر حبك له. وصار الشك يقيناً عندما رأيتكما معاً.»

أبعدت ليانا نظراتها عن فيليب ولكنها عادت لتغرق فيهما. «لقد أحببت كليف، ولكنني أحببته كصديق.» فجأة أحست بأن قلبها يعتصر وتغيرت نبرات صوتها «لم أكن أعرف ما هو الحب الحقيقي.»

نظر فيليب إلى وجهها. كانت عيناه مليئتين بالوعود. «سأعلمك الحب الحقيقي. سأعلمك كيف يكون الحب بين الرجل والمرأة.»

غداً سيصبح زوجها. ستخيم السعادة الأبدية فوق رأسها. ولكن، قبل أن تنهي مراسم الزواج، عليها قراءة رسالة العمة غلوريا الغامضة.

ناولها فيليب الرسالة وقال: «أخبريني ما تقول.» كانت أصابعها ترتجف وهي تفتح المغلف. سحبت ورقة بيضاء. أحست بالخوف من تأثير هذه الرسالة على مستقبلها مع فيليب. فتحت الرسالة. شدها فيليب نحوه ليدفىء جسدها المرتعش. سأموت لو عرفت أن شيئاً ما سيفسد سعادتي. ولكنها شعرت بارتياح عندما قرأت الجملة الأولى.

قالت لفيليب وهي تضحك إسمع هذا: «إنها تقول هنا، إن كنت قد قمت بكل الأمور التي أوصيت بها، فأنا أقول لك، وفي موعد زفافك بالتحديد، إن خطيبك الذي حدثتني عنه لا ينفعك. والرجل الذي يصلح لك، هو الحبيب فيليب، هذا ما أشعر به. ولهذا قررت أن أوصي بالمزرعة لكل منكما مناصفة، وهكذا ستقوم بينكما التزامات عمل تتعارفان من خلالها، ومن ثم تغرمان ببعضكما البعض. أرجو أن تسامحي امرأة عجوز، لعبت دور كوبيد لتجعل منكما حبيبين سعيدين.»

سحب فيليب الرسالة من يدها، كانت عيناها مشدوهتين. «هل تعني أن السيدة العجوز رتبت كل تلك الأمور لتصل بنا إلى هنا؟»

«يظهر أن هذا ما حصل بالفعل،» نظرت إليه ليانا وقالت:

«أتمنى أن لا تغير رأيك بشأن الزواج مني لأنك لم تكن أول من فكر بهذا الأمر؟»

رماها بنظراته الداكنة. شعرت بأن قلبها قد توقف. فهو لم يجبها. «بماذا تفكر؟»

شدها إلى صدره ونظر إلى وجهها الخائف. «لا لن أغير رأيي، إن وعدتني بأن تسمي إبنتنا الأولى غلوريا.»

«لا أحلم بأجمل من هذا الإسم لإبنتنا الأولى؟ كم ولداً سننجب؟»

قبلها فيليب. «بقدر ما تريدين، هذا إن وعدتني أن يكونوا مثلك.»

فهمست ليانا: «أحبك، أحبك. لا أصدق أن يوم الغد هو يوم زواجنا.»

«صدقي!» وأردف قائلاً: «انه زواج سيجمعنا حتى الأبد.» نظر إليها وسألها: «كيف تشعرين؟»

فأجابت من أعماق قلبها: «أشعر... أشعر وكأنني في الجنة.»

تمت